إعلام البريّة

بنفي انتساب ابن حزم للجهميّة

تأليف

أبي أسامة الأثري

دار العقيدة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا

الطبعة الأولى
٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ

رقم الإيداع: ١٥٥٢ / ٢٠٠٦

الترقيم الدولي: X - 089 - 347 - 977

دار العقيدة
طبع * نشر * توزيع

دار العقيدة

الإسكندرية: ١٠ ش الفتح باكوس ت: ٠٣/٥٧٤٧٢٢١ ف: ٠٠٢٠٣/٥٧٦٥٦٢١
القاهرة: ٢ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر ت: ٠٠٢٠٢/٥١٤٣١٧٤
E-mail: dar_alakida@yahoo.com

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

مقدمة المؤلـف

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدُهُ ونستعينُه ونستغفره ، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفُسنا ومن سيئاتِ أعمالِنا ، من يهدِهِ اللهُ فلا مُضلَّ لَهُ ومن يُضلل فلا هاديَ لهُ .

وأشْهَدُ أن لا إله إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له ، واشهدُ أنَّ مُحمَّدًا عبدُه ورسولُه .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّـــذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

[سورة آل عمران ١٠٢] .

﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [سورة النّساء ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَـــهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[سورة الأحزاب ٧٠ - ٧١] .

أمَّا بعدُ ...

فإنَّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ تعالى ، وخيرَ الهدي هديُ مُحمَّدٍ ﷺ ، وشرَّ الأمورِ مُحدثاتُها ، وكُلَّ مُحدَثَةٍ بدعةٍ ، وكُلَّ بدعةٍ ضلالةٍ ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ .

هذا بَحثٌ جمعتُ فيه شيئًا من مُخالفات الإمام / ابن حزم - رحمه اللَّه - في الاعتقاد ، والتي خالفَ فيها اعتقاد السَّلف في بعض المباحث العقديَّة

ك : مبحثي : «الإيمان» ، و«الأسماء والصفات» ، ووجدت من الإنصاف مع إيرادها بحث أصل اتهام الإمام ابن حزم بأنَّه جهميّ -كما سيأتي في كلام غير واحد من أهل العلم الذين نسبوه إلى مذهب «الجهمية»- ومما لا شك فيه أنَّه -رحمه الله- قد وافقهم في بعض مسائل الاعتقاد ، لاسيما مبحث «الأسماء والصفات» ، إلا أنَّ هذا الأمر قد وقع له من باب الوفاق لا الاتفاق ، وقد راعيتُ التزام الحيدة والإنصاف ، والبعد عن الميل والأهواء .

واللهَ أسألُ التَّوفيق للصَّواب ، والنَّفع به في الدَّارين .

كتبه

أبو أُسامة الأثري

مُقدمِّة

«أقوال الأئمة في اعتقاد ابن حزم»

أقوال الأئمة في

اعتقـــاد ابن حزم

* قال ابن عبد الهادي فى « طبقات علماء الحديث » ٣ / ٣٥٠:

(ولكن تبينَ لي منه أنَّه جهميٌّ جَلْد[١]، لا يُثبت معاني أسماء اللَّه الحُسنى إلا القليل كـ : الخالق ، والحق ، وسائر الأسماء عنده لا يدُل على معنى أصلًا ، كـ : الرَّحيم ، والعليم ، والقدير ونحوها ، بل العلمُ عنده هو القدرة ، والقُدرة هي العلم ، وهُما : عينُ الذَّات ، ولا يدُل العلم على شئ زائد على الذَّات المُجرَّدة أصلًا ، وهذا عينُ السَّفسطة ، والمُكابرة ، وقد كان ابن حزم قد اشتغلَ فى المنطق ، والفلسفة و أَمعَنَ[٢]فى ذلك فتقررَ فى ذهنه لهذا السَّبب معاني باطلة) .اهـ

* وقال ابن كثير فى « البداية والنهاية » ١٢ / ١٠٠:

(والعجبُ كل العجبِ منه ، أنَّه كان ظاهريًا حائرًا فى الفروع ، ولا يقول بشئ من القياس لا الجلي ولا غيره ، وهذا الذي وضعه[٣] عند العلماء ، وأدخل عليه خطأً كبيرًا فى نظرهِ وتصرفهِ ، وكانَ مع هذا أشد النَّاس تأويلًا فى باب الأصـول وآيـات الصِّفـات ، وأحاديث الصِّفـات ، لأنَّه كانَ أوَّلًا تَضَلَّـع[٤] من علم المنطق ، أخـذه عن مُحمَّد بن الحسن المَذحِجي[٥] الكِناني[٦]

---

(١)جَلَد: بفتح الجيم المُعجمة، واللام: قوي .

(٢)أمعن: بفتح الهمزة، وسكون الميم وفتح العين المُهملة، جدَّ وأبعد وبالغ في الاستقصاء . (المُعجم الوسيط ٢ / ٩١٣) .

(٣)وضعه: حطَّ من قدره ودرجته .(المُعجم الوسيط ٢ / ١٠٨١) .

(٤)تضلع: بفتح المُثناة، والضَّاد المُعجمة، واللام المفتوحة المُشددة، تشبع وارتوى. (المُعجم الوسيط ١ / ٥٦٣).

(٥)المَذحِجي: بفتح الميم، وسكون الذال، وفي آخرها جيم، نسبة إلى مذحج، وهو قبيل من اليمن . (اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير ٣ / ١٨٦) .

(٦)الكناني: بكسر الكاف، وفتح النون، وبعد الألف نون ثانية . =

القُرطُبي [٧]، ذكره ابن ماكولا وابن خِلِكان ففسدَ بذلك حالهُ في بابِ الصِّفات) .اهـ

* وقال شيخ الإسلام ابن تيميه في « مجموع الفتاوى » ١٤ / ١٨ - ٢٠:

(أبو محمد بن حزم فيما صَّنفُه من المللِ والنِّحلِ إنَّما يُستَحمَدُ بموافقةِ السُّنَّة والحديث مثل ما ذَكر في مسائل القدر والإرجاء، ونحو ذلك بخلاف ما أنفردَ به من قوله في التَّفضيل بين الصَّحابة، وكذلك ما ذكره في باب الصِّفات فإنَّه يُستَحمَدُ فيه بموافقة أهل السُّنَّة والحديث، ولكونِهِ يُثبتُ الأحاديث الصَّحيحة، ويُعظمُ السَّلف وأئمة الحديث، ويقول إنَّهُ موافقٌ للإمام أحمد في مسألة القُرآن وغيرها، ولا ريبَ أنَّهُ موافقٌ له ولهم في بعض ذلك[٨] .

لكنَّ الأشعري[٩] ونحوه أعظم موافقةً للإمام أحمد بن حنبل ومِن قبله الأئمة

= (اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير ٣ / ١١١) .

(٧) القُرطُبي: بضم القاف، وسكون الراء، وضم الطاء المُهملة، نسبة إلى « قرطبة » مدينة كبيرة من مُدن الأندلس - أعادها الله إلى ديار المُسلمين - .

(اللباب ٣ / ٢٥) .

(٨) وهذا من محاسن أهل السُّنَّة فإنَّهم يذكرون للمُحسن حسناته، ويدفعون مُخالفات المسيء بالحُجج والأدلة والبراهين، ولا يُذهبون محاسن غيرهم بوقوعهم في الخطأ خاصة إذا كان هذا الخطأ يُغتفر مع سعة الموافقات، وكان سبب الوقوع فيه هو الاجتهاد - مع كون صاحبه أهل للاجتهاد - .

قال العلامة عبد الرحمن السعدي[*]:

(فاعدلوا بمراعاة الصدق فيمن تُحبون، ومن تكرهون، وبالإنصاف وعدم كتمان ما يلزم بيانه، فإن الميل على من تكره بالكلام فيه، أو في مقالته من الظُّلم المحرم .

بل إذا تكلم العالم على مقالات أهل البدع، فالواجب أن يعطي كل ذي حقٍ حقه، وأنْ يبين ما فيها من الحق والباطل، ويعتبر قربها من الحق، وبعدها منه.

و ذكر الفقهاء أن القاضي يجب عليه العدل بين الخصمين في لحظه ولفظه).اهـ

(٩) يعني: أبا الحسن الأشعري، بفتح الهمزة، وسكون المُثلثة، وكسر الراء المُهملة،وهذه النسبة إلى أشعر، وهي قبيلة من اليمن . (اللباب ١ / ٦٤) .

(*) في تفسيره لقوله تعالى : « وإذا قلتم فاعدلوا » .

فى القُرآن والصِّفاتِ ، وإنْ كان أبو محمد بن حزم فى مَسائلِ الإيمانِ والقدرِ أقوَم من غيره وأعلم بالحديث ، وأكثر تعظيمًا له ولأهله من غيره ، لكن قد خالط من أقوال الفلاسفة والمعتزلة فى مسائل الصِّفات ما صرَفه عن موافقة أهل الحديث فى معاني مذهبهم فى ذلك ، فوافقَ هؤلاء فى اللفظِ ، هؤلاء فى المعنى .

وبمثل هذا صار يذمُهُ من يذمه من الفقهاء ، والمُتكلمين ، وعُلماء الحديث بإتباعِهِ لظاهرٍ لا باطن له ، كما نفى المعاني فى الأمر والنَّهى والاشتقاق ، وكما نفى خَرقُ العاداتِ ونحوه من عبادات القلوب ، مضمومًا إلي ما فى كلامه من الوقيعة فى الأكابر ، والإسراف فى نفى المعاني ودعوى مُتابعة الظَّواهر .

وإنْ كان له من الإيمان ، والدِّين ، والعلوم الواسعة الكثيرة ما لا يدفعه إلا مُكابرٌ ، ويوجد فى كتبه من كثرة الإطلاع على الأقوال ، والمعرفة بالأحوال ، والتَّعظيم لدعائم الإسلام ، ولجانب الرِّسالة ما لا يجتمع مثله لغيره فالمسألة التي يكون فيها حديث يكون جانبه فيها ظاهر التَّرجيح ، وله من التَّمييز بين الصَّحيح والضَّعيف ، والمعرفة بأقوال السَّلف ما لا يكاد يقع مثله لغيره من الفقهاء) .اهـ

قُلتُ : وتفصيل ابن تيميه تجده فى هذا النَّص من كلام ابن حزم .

قال ابن حزم فى المحلى «١/٣٣» :

(إنَّ للَّه عزًا ، وجلالًا ، وإكرامًا ، ويدًا ، ويدين ، وأيدي ، ووجهًا ، وعينًا ، وأعينًا ، وكبرياءً ، وكل ذلك حق لا يُرجِع منه ولا من علمه تعالى وقدره ، وقوته ، إلا إلي اللَّه سبحانه تعالى ، لا إلى شئ غير اللَّه عز وجل أصلًا ، مقر من ذلك مما فى القرآن ، وما صحَّ عن رسول اللَّه ﷺ ، ولا يَحل ولا يُزاد فى ذلك ما لم يأت نصٌ من قرآن أو سُنَّة صحيحة .

قال عز وجل : ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [سورة الرحمن ٢٧] .

وقال تعالى : ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [سورة الفتح ١٠] .

و﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾ [سورة يس ٧١] .

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ [سورة الإنسان ٩] .

﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ [سورة طه ٣٩] .

﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [سورة الطور ٤٨] .

ولا يَحل أنْ يُقال عينين لأنَّه لم يأت نص ، ولا أنْ يُقال : له سمع ، وبصر ، ولا حياة ، لأنَّه لم يأت بذلك نص ، لكنَّه تعالى سميع بصير ، حي قيوم .

وذكر بسنده إلي أبي سعيد الخُدري وأبي هريرة رضي اللَّه عنهما قالا : قال رسول ﷺ : العز إزاره والكبرياء رداؤه – يعني : الله .(١٠)

وذكر بسنده إلى أبي هُريرة عن رسول اللَّه ﷺ في حديث خلق الجنة والنَّار : أن جبريل قال للَّه تعالى : وعزَّتك لقد خشيت أنْ لا يدخُلها أحد .(١١)

ولو كان شئ من ذلك غير اللَّه تعالى لكان إمَّا لم يزل ، وإمَّا مُحدثًا ، فلو كان لم يزل لكان مع اللَّه تعالى أشياء غيره لم تزل ، وهذا شرك مُجرَّد ، ولو كان مُحدثًا لكان تعالى بلا علم ، ولا قدرة ، ولا عز ، ولا كبرياء ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا

(١٠) أخرجه مسلم في صحيحه: (كتاب البر والصلة / باب: تحريم الكبر/ح ١٣٦)، من حديث أبي هُريرة وأبي سعيد معًا).

بينما أخرجه أحمد في المسند : (٢ / ٢٤٠، ٣٧٩، وفي مواضع كثيرة من مسنده عن أبي هُريرة منفردًا).

قال محمد فؤاد عبد الباقي في حاشيته على صحيح مسلم:

(العز إزاره، هكذا في جميع النسخ، فالضَّمير في إزاره، ورداؤه يعود إلى الله تعالى للعلم به، فيه محذوف، تقديره : قال الله تعالى : ومن ينازعني ذلك أعذبه).اهـ

(١١) صحيح.

أخرجه من طريق النَّسائي في سننه، وأخرجه النَّسائي في المُجتبى:(كتاب الأيمان والنذور / باب الحلف بعزة الله / ١ / ٨).

بلفظ أطول مما سرده ابن حزم الذي اكتفى بذكر محل الشاهد منه.

كما أخرجه أبو داود في سننه : (كتاب السُنَّة / باب : في خلق الجنَّة والنَّار/ ح ٤٧٤٤).

والترمذي في سننه : (كتاب أبواب صفة الجنة / باب : ما جاء حفت الجنَّة بالمكاره / ح ٢٦٨٤).

بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الأعراف ٣٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ [سورة النحل ٧٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة ١٥١] .

فصحَّ أنَّه لا يحل أنْ يُضاف إليه تعالى شئ ، ولا أنْ يُخبر عنه بشئ ، ولا أنْ يُسمى بشئ إلا ما جاء به النَّص .

ونقول أنَّ للَّه تعالى مكرًا ، وكيدًا .

قال تعالى : ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ ﴾ [سورة الأعراف ٩٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾ [سورة الطارق ١٦] .

وكُل ذلك خُلقٌ له تعالى ، وبالله التوفيق) .اهـ

قلت : فهو موافق جلد لأهل السُّنَّة والحديث فى تمسُّكِهم بالكتاب والسُّنَّة ، وإنما دخل الخلل عنده فى الدَّلالة ، فهذا أصل فى فهم مذهب ابن حزم فى الأسماء والصِّفات ، فهو كما مر بنا آنفًا يُثبت اسم « السَّميع » ، ومع ذلك لا يُثبت للَّه سمعًا ، فهو سميعٌ بلا سمع ، بصيرٌ بلا بصر .

ولم يُنبه عليه إلا شيخ الإسلام ابن تيميه ، فاعضض عليه بالنواجذ فإن فيه من البصيرة والإنصاف ما لا تجده عند غيره ، رحم اللَّه شيخ الإسلام وطيَّب ثراه .

* * *

الفصل الأوَّل:
مُخالفات ابن حـــزم
في مبحث «الإيمان»

الإيمان

وافق ابن حزم أهل السُّنَّة فى أصل قولهم فى الإيمان ، فقال فى « المُحلى » ١/٣٨:

(الإيمان عقد بالقلب ، وقول باللسان ، وعمل بالجوارح ، يزيد بالطَّاعة ، وينقص بالمعصية) .اهـ

وهذا الذي حمل شيخ الإسلام ابن تيميه – رحمه اللّه – إلى أن يقول في « مجموع الفتاوى » ١٤ / ١٨:

(وإن كان أبو محمد بن حزم في مسائل الإيمان ، والقدر أقوم من غيره وأعلم بالحديث ، وأكثر تعظيمًا له ولأهله من غيره) .اهـ

وقد خالف ابن حزم أهل السُّنَّة في عدة أصول من أصول الإيمان ، وافق فيها الجهميَّة وغيرهم لعل من أظهرها قوله بأنَّ الإيمان لا يتفاضل ، وهذا من غريب كلامه ، وهو الذي يُسلم بأنَّ الإيمان يتبعض ، ومما لا شك فيه أنَّ الذي يتبعض لابد أن يتفاضل ، لأنَّ الذي يُحصِّل خمسة أبعاضٍ أقلّ إيمانًا من الذي حصَّل عشرًا .

قال تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [سورة الأنفال ٢] .

١- قال في « المحلى » ١ / ٤١:

(واليقين لا يتفاضل ، لكن إذا دخل فيه شك أو جحد ، بَطَلَ كله ؛ ذلك أنَّ اليقين هو إثبات الشئ ، ولا يُمكن أن يكون إثباتٌ أكثر من إثباتٍ ، فإنْ لم يُحقق الإثبات صارَ شكًّا) .اهـ

وقال في « الفصل » ٢ / ٢١٨:

(ولو نقصَ من التَّصديقِ شئ لبَطلَ عن أنْ يكونَ تصديقًا ، لأنَّ التَّصديق لا يتبعَّض أصلًا ، ولصارَ شكًّا) .اهـ[١٢]

(١٢) قال السَّفاريني في: « لوامع الأنوار» ١/ ٤٣١: =

٢- وقال في « المحلى » ١ / ٤٠ :

(ومن ضيَّع الأعمال كلها فهو مؤمنٌ عاصٍ ، ناقص الإيمان ، لا يكفرُ .

عن عطاء بن يزيد ، أنَّ أبا هريرة أخبره أن رسول اللَّه ﷺ قال - فى حديث طويل - حتَّى إذا فرغ اللَّه من القضاء بينَ العباد ، وأراد أنْ يُخرج برحمته من أراد من أهل النار ، أمر الملائكة أن يُخرجوا من النار من كان لا يُشرك بالله شيئا ممن أراد اللَّه عز وجل أن يرحمه ممن يقول : لا اله إلا اللَّه)[١٣] .أهـ

* * *

= (لو لم تتفاوت حقيقة الإيمان وتتفاضل لكان إيمان آحاد الأمَّة المُنهمكين في الفِسقِ والمعاصي مساويًا لإيمان الأنبياء والصِّديقين والملائكة المُقرَّبين، وتصور هذا المذهب ولوازمه يُغني عن إقامة البُرهان على ردِّه مع ما في الآيات الصَّريحة والأحاديث الصَّحيحة من التَّفاضل والتَّفاوت فدع عنك هذا التَّمادي والتَّهافت، أو يعم القول بأنَّ الإيمان هو التَّصديق أيضًا؟، الحق كما قاله الإمام النَّووي وجماعة مُحققون من عُلماء الكلام أنَّ الزيادة والنُّقصان تدخل الإيمان ولو قُلنا أنَّه التَّصديق والإذعان لأنَّ التَّصديق القلبي يزيد وينقص أيضًا بكثرة النَّظر ووضوح الأدلةِ وعدم ذلك كما تقدَّم في شيخ الإسلام، وما اعترض عليه به من أنَّه متى قبل ذلك كانَ شكًّا فمدفوع بأنَّ مراتب اليقين مُتفاوتة إلى: علم اليقين، وعين اليقين، وحقّ اليقين مع إنَّها لا شكَّ معها، وفي القُرآن العظيم ما حكى عن إبراهيم خليله بقوله: ﴿ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾).اهـ

(١٣) متفق عليه.

أخرجه ابن حزم من طريق مسلم في صحيحه.

أخرجه البخاري في صحيحه: (كتاب التَّوحيد / باب: قول الله تعالى: ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ / ح ٧٤٣٧).

وأخرجه مسلم في صحيحه: (كتاب الإيمان / باب: معرفة طريق الرؤيا / ح ٢٩٩).

ولفظه طويل جدًا يبدأ بـ: هل تمارون في القمر ليلة البدر.

وفي لفظ: هل تضارون.

مُخالفات ابــن حــزم
في مبحث الأسماء والصفات

تمهيد

بعض القواعد التي ينطلق منها ابن حزم في مبحث الأسماء والصّفات :

*** القاعدة الأولى :**

قصر أسماء اللّه على تسعة وتسعين اسمًا :

قال ابن حزم في « المحلى » ١ / ٣٠:

(وأنَّ للَّه عز وجل تسعة وتسعين اسمًا مائة غير واحد ، وهي أسمائه الحسنى ، من زاد شيئا من عند نفسه فقد ألحد في أسمائه ، وهي الأسماء المذكورة في القرآن والسُّنَّة .

وذكر بسنده إلى أبي هريرة عن رسول اللّه ﷺ أنه قال : إنَّ للَّه تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا ، من أحصاها دخل الجنة[١٤] .

زاد همام في حديثه : إنه وتر يحب الوتر .

وقد صح أنَّها تسعة وتسعون اسما فقط ، فلا يحل لأحد أن يُجيز أنْ يكون له اسم زائد لأنَّه عليه السلام قال : مائة غير واحد[١٥] .

---

(١٤) مُتفقٌ عليه .

أخرجه البُخاري في غير موضع من صحيحه، منها: (كتاب الشروط / باب: ما يجوز من الاشتراط / ح ٢٧٣٦).

وأخرجه مُسلم في صحيحه : (كتاب الذكر والدُّعاء / باب: في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها / ح ٥، ٦).

(١٥) سئل العلامة محمد بن صالح العُثيمين – رحمه الله–: (هل أسماء الله محصورة .

فقال: – رحمه الله –: أسماء الله ليست محصورة بعدد مُعينٌ، والدليل على ذلك قوله في الحديث الصحيح: اللهم إني عبدك وابن أمتك . . . الحديث.

إلى أن قال: أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك.

وما استأثر به في علم الغيب لا يُمكن أن يُعلم به، وما ليس معلومًا ليس محصورًا. =

فلو جاز أنْ يكون له تعالى اسمٌ زائد لكانت مائة اسم ، ولو كان هذا لكان قوله عليه السلام : مائة غير واحد ، كذبًا ومن أجاز هذا فهو كافر .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة الحشر ٢٣ - ٢٤] .

وقد تقصَّينا كثير منها بالأسانيد فى كتاب : « الإيصال » والحمد للَّه رب العالمين) ٠اهـ

* * *

= وأما قوله ﷺ : إنَّ لله تسعة وتسعين اسمًا، من أحصاها دخل الجنة، فليس معناه أنَّه ليس له إلا هذه الأسماء، ولكن معناه أنَّ من أحصى من أسمائه هذه التِّسعة والتِّسعين فإنه يدخل الجنَّة، فقوله: « من أحصاها » تكميل للجملة الأولى وليست استئنافية مُنفصلة، ونظير هذا قول العرب: عندي مئة فرس أعددتها للجهاد في سبيل الله، فليس معناه أنَّه ليس عنده إلا هذه المئة ؛ بل المئة مُعدَّة لهذا الشئ). اهـ فتاوى العقيدة ص٦ .

وقد أجاد الحافظ ابن حجر في رده على ابن حزم وغيره، حيث قال في «فتح الباري» ١١/ ٢٢٤: (واستدل بعضهم لهذا القول بأنَّه ثبت في نفس حديث الباب أنه وتر يحب الوتر، والرواية التي سُردت فيها الأسماء لم يُعد فيها « الوتر » فدلَّ على أنَّ له اسمًا آخر غير التِّسعة والتِّسعين وتعقبه من ذهب إلى الحصر في التِّسعة والتِّسعين كابن حزم بأنَّ الخبر الوارد لم يثبت رفعه وإنَّما هو مُدرج كما تقدمت الإشارة إليه واستدل أيضا على عدم الحصر بأنَّه مفهوم عدد، وهو ضعيف، وابن حزم ممن ذهب إلى الحصر في العدد المذكور، وهو لا يقول بالمفهوم أصلاً، ولكنه احتج بالتَّأكيد في قوله ﷺ : « مائة إلا واحد »، قال: لأنَّه لو جاز أنَّ يكون له اسمًا زائدًا على العدد المذكور لزم أن يكون له مائة اسم فيبطل قوله: مائة إلا واحدًا، وهذا الذي قاله ليس بحُجَّة على ما تقدم، لأنَّ الحصر المذكور عندهم باعتبار الوعد الحاصل لمن أحصاها، فمن ادَّعى على أنَّ الوعد وقع لمن أحصى زائدًا على ذلك أخطأ، ولا يلزم من ذلك أنَّ لا يكون هناك اسم زائد) ٠اهـ

القاعدة الثانية :

قال ابن حزم في « الفصل » ١ / ٢٨٨:

(لا يجوز إطلاق اسم على غير موضوعه فى اللغة إلا أنْ يأتي به نص فنقف عنده ، وندرى حينئذ أنَّه منقول إلى ذلك المعنى الأخر ، وإلَّا فلا) .[١٦]

القاعدة الثالثة :

نفي إطلاق لفظ « الصِّفات » في حق اللَّه تعالى .

قال ابن حزم في « الفصل » ٢ / ٢٨٢:

(وأمَّا إطلاق لفظ الصِّفات للَّه عز وجل فمُحال ، لا يجوز ؛ لأنَّ اللَّه تعالى لم ينُص قط في كلامه المُنزَّل على لفظ الصِّفات ، ولا على لفظ الصِّفة ولا جاء قط عن النَّبي ﷺ بأنَّ للَّه صفة أو صِفات ، نعم ولا جاء قط ذلك عن أحد الصَّحابة رضي اللَّه عنهم ، ولا عن أحدٍ من خيار التَّابعين ،ولا عن أحد من تابعي التابعين ، وما كان هكذا فلا ينبغي لأحد أن ينطق به .

---

(١٦) لو التزم ابن حزم – رحمه الله – هذا الكلام لمَا وقع في الكثير من تأويلاته للأسماء والصِّفات، لأنَّ الله لمّا أطلق الأسماء و الصِّفات ولم يذكر في أكثرها تفصيل وجب أنْ تُحمل على حقيقة المعاني العربية ولا تنقل إلى المجاز إلا بدليل، يعني النَّاقل هو الذي يأتي بدليل مُعتبر.

مثال: الاستواء، معنى استوى على الشَّئ، علا عليه .

هذا هو معناه في لغة العرب، أمَّا تأويله بالاستيلاء مثلاً فهو ناقل له عن هذا المعنى، والنَّاقل هو الذي يحتاج إلى ذكر دليل النَّقل.

وقد استدل من قال أنَّ معناه الاستيلاء ببيت شعر للأخطل قال فيه:

استوى بشر على العراق من غير سيف ولا دم مهراق

وهذا البيت لا يُعد دليلاً مُعتبرًا يُصيغ النَّقل من وجوه :

أ – أنَّ الاستيلاء لا يكون إلا بعد مُنازعة .

ب – أنَّ الاستيلاء لا يوصف به إلا من قدر على الشئ بعد عجز، ف : « بشر » استولى على العراق بعد أن كان غير قادر على الاستيلاء عليها قبل .

وهذان الوجهان غير مُعتبرين في حق الله عز وجل، إذن هذا النَّقل غير مُعتبر .

ولو قُلنا : إنَّ الإجماع قد تيقن على ترك هذه اللفظة لصدقنا ، فلا يجوز القول بلفظ « الصِّفات » ، ولا اعتقاده بل ذلك بدعة مُنكرة .

قال تعالى : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى ﴾ [سورة النّجم ٢٣]) .اهـ

فهذه القواعد الثَّلاث وغيرها من أفسد القواعد التي أثرت سلبًا في تفسير ابن حزم وتأويله للأسماء والصِّفات .

* * *

بيـــــان
بعض الصفات التي
أخطأ ابن حزم في تأويلها

١ - النزول

قال ابن حزم فى «المحلى» ١ / ٣٠:

(إنَّ اللَّه تعالى يتَنزَّلُ كل ليلة إلى سماء الدُّنيا ، وهو فعلٌ يفعله عز و جل ليس حركة ، ولا نقلة[١٧] ، بُرهان ذلك :

– ذكر بسنده إلى الإمام مسلم[١٨] – ثنا يحيي بن يحيي قرأت على مالك ابن أنس عن ابن شهاب ، عن أبى عبد اللَّه الأغر[١٩] ، وعن أبى سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبى هريرة أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال : يتنزل اللَّه عز وجل كل ليلة إلى سماء الدُّنيا حتى يبقى ثلث الليل الأخير فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، ومن يسألني فأُعطيه ، ومن يستغفرني فأغفر له) .اهـ[٢٠]

ثم ذكر بقية طرق الحديث وقال :

(وأوقات الليل مُختلفة باختلاف تقدم غروب الشمس من أهل المشرق ، وأهل المغرب ، فصحَّ أنَّه فعلٌ يفعله البارى عز وجل من قَبول الدُّعاء فى هذه الأوقات بلا حركة ، والحركة والنُّقلة من صفات المخلوقين حاشا للَّه تعالى منه) .اهـ[٢١]

---

(١٧) هذا الكلام لا دليل عليه من كتاب ولا سُنَّة، وابن حزم كما ذكرنا مرارًا وتكرارًا من أشد أنصار الدَّليل .

(١٨) كذا في صحيحه: (كتاب صلاة المُسافرين وقصرها / باب: التَّرغيب في الدُّعاء والذِّكر في آخر الليل والإجابة فيه / ح ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١) .

(١٩) الأغر: بفتح الهمز، والغين الموحدة، هو سلمان أبو عبد الله .

(٢٠) وهو من الأحاديث التي اتفق الشيخان على إخراجها .

فأخرجه البُخاري أيضًا في غير موضع عديدة من صحيحه منها: (كتاب التَّهجد / باب: الدُّعاء في الصلاة من آخر الليل /ح ١١٤٥) .

(٢١) سُئل العلامة محمد بن صالح العُثيمين – رحمه الله –: من المعلوم أنَّ الليل يدور على الكرة الأرضية، والله عز وجل ينزل إلى السَّماء الدُّنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، فمقتضي ذلك أنْ =

وقال في « الفصل » ٢ / ١:

(وصَحَّ عن رسول اللَّه ﷺ أنَّهُ أخبرَ أنَّ اللَّه تعالى يتنزَّل كل ليلة إذا بقى ثُلث الليـل إلي السماء الدُّنيا .

قال أبو محمد : هذا إنَّما هو فعلٌ يفعله اللَّه تعالى فى سماء الدُّنيا من الفتح لقَبول الدُّعاء ، وأنَّ تلك الساعة من مظان القَبول والإجابة ،

والمغفرة للمُستغفرين ، والتَّائبين ، وهذا معهود فى اللغة ، تقول نزل فلان عن حقه ، بمعنى : وهبَه لي ، وتطوَّلَ به عليَّ .[٢٢]

= يكون كل الليل في السماء الدُّنيا ! فما الجواب على ذلك ؟ .

فأجاب بقوله: يجب على الإنسان أنْ يمنع نفسه عن السؤال بـ:« لم»، وكيف، فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته، وكذا يمنع نفسه من التفكير في الكيفية، وهذا الطريق إذا سلكه الإنسان استراح كثيرًا، وهذا حال السلف – رحمهم الله –، ولهذا جاء رجل إلى مالك بن أنس – رحمه الله – قال: يا أبا عبد الله ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾، كيف استوى ؟.

فأطرق برأسه وعلته الرَّحضاء، وقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مُبتدع .

وهذا الذي يقول: إنَّ الله ينزل إلى السماء الدُّنيا حين يبقي ثلث الليل الآخر كل ليلة، فيلزم من هذا أن يكون كل الليل في السَّماء الدنيا ؛ لأنَّ الليل يدور على جميع الأرض، فالثُّلث ينتقل من هذا المكان إلى مكان الآخر .

جوابنا عليه أن نقول له: هذا سؤال لم يسأله الصحابة للنبي ﷺ، ولو كان هذا يرد على قلب المؤمن المُستسلم لبيِّنه الله ورسوله ﷺ، ونقول ما دام ثلث الليل الأخير في هذه الجهة باقيًا فالنُّزول فيها مُحقق، ومتى انتهى الليل انتفى النزول ونحن لا ندرك كيفية نزول الله، ولا نُحيط به علمًا ونعلم أنَّه سبحان ليس كمثله شئ، وعلينا أن نستسلم وأن نقول سمعنا وأطعنا . هذه وظيفتنا) .اهـ فتاوى العقيدة

(٢٢) هذا يُصبح معهودًا لو لم يُصرح النبي ﷺ – وهو أعلم الناس بربه – بلفظ: ينزل ربنا.

قال العلامة صالح بن فوزان الفوزان في « شرح العقيدة الواسطية » ص ٢١٠:

(وفيه – يعني الحديث – الرد على من أوَّل الحديث بأنَّ معناه نزول رحمته، أو أمره؛ لأنَّ الأصل الحقيقة وعدم الحذف، ولأنَّه قال: « من يدعوني فاستجيب له »، فهل يُعقل أنَّ تقول رحمته أو أمره هذا المقال؟!) . اهـ

ومن البُرهان على أنَّه صفة فعل ، لا صفة ذات أنَّ رسول اللَّه ﷺ علَّق التَّنزل المذكور بوقت مُحدد فصحَّ أنَّه فعل مُحدث فى ذلك الوقت(٢٣)، مُفعول حينئذ ، وقد علمنا أنَّ ما لم ينزل فليس متعلقًا بزمان ألبتة ،.وقد بيَّن رسول اللَّه ﷺ فى بعض ألفاظ الحديث المذكور أنَّ اللَّه عز وجل يأمر ملَكًا يُنادى فى ذلك الوقت بذلك .(٢٤)

---

(٢٣) بل « التُّزول » من صفات الله الفعلية المُتعلقة بمشيئته .

والصِّفات الفعلية نوعان:

صفات لها سبب معلوم : مثل الرضا، فالله عز وجل إذا وجد سبب الرضا؛ رضي .

قال تعالى: ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ سورة الزمر ٧ .

وصفات ليس لها سبب معلوم: مثل النزول إلى السماء الدُّنيا حين يبقي الثلث الأخير من الليل .

وقد اصطلح العلماء – رحمهم الله – أن يُسموا هذه الصفات « الصفات الفعلية»، وليس في إثباتها لله عز وجل نقص بوجه من الوجوه، بل هذا من كماله أن يكون فاعلًا لما يُريد.

(٢٤) وهذا القول مدفوع مدحوض.

قال الشيخ عبد الله بابطين – رحمه الله – (كما في هامش لوامع الأنوار البهيَّة) « للسفاريني ١ / ٢٤٩: (عجبًا للمُصنف – رحمه الله – كيف أورد شبه المُعطلة، ولم يُجب عنها، فأمَّا الحديث الذي احتجوا به: ثُمَّ يأمر مُناديًا يُنادي الخ، فقال أبو القاسم عبد الرحمن ابن منده: هو حديث موضوع . وقال تقي الدين ابن تيمية – رحمه الله –: نزول الرب تبارك وتعالى إلى السماء الدُّنيا في كل ليلة استفاضت به السُّنَّة عن النبي ﷺ، واتفق سلف الأمة وأئمتها وأهل العلم بالسُّنَّة والحديث على تصديق ذلك، وتلقيه بالقبول، والنبي ﷺ قال ذلك علانية وبلغه الأمة تبليغًا عامًا لم يخص به أحدًا دون أحد، وكانت الصَّحابة والتَّابعون تذكره، وتأثره وتبلغه وترويه في المجالس الخاصة والعامة وهو في جميع كتب أهل الإسلام كـ: صحيحي البخاري ومسلم، وموطأ مالك، ومُسند الإمام أحمد، وسنن أبي داود، والنسائي، وأمثال ذلك من كتب المُسلمين ... إلى أن قال: فإن قلتَ الذي ينزل ملك، قيل: هذا باطلٌ من وجوه منها:

– أنَّ الملائكة لا تزال تنزل بالليل والنَّهار إلى الأرض – وذكر أحاديث مُتضمنة لذلك.

ثم قال: الوجه الثاني أنه قال: من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له، وهذه العبارة لا يجوز أنْ يقولها ملك غير الله، فالملك إذا نادى عن الله لا يتكلم بصيغة المُخاطب بل يقول: إنَّ الله أمر بكذا، =

وأيضا فإنَّ ثُلث الليل مُختلِفٌ فى البلاد باختلاف المطالع والمغارب ، يَعلمُ ذلك ضرورة من بحث عنه[٢٥] ، فصحَّ ضرورة أنَّهُ فعلٌ يفعله ربُّنا تعالى .

وأمَّا من جعل ذلك نَقْلَةً فقد قدَّمنا بُطلان قوله فى إبطال القول بالجسم بعون اللَّه وتأييده ، ولو انتقل اللَّه تعالى لكان محدودًا ، مخلوقًا ، مؤلفًا ، شاغلًا لمكان ، وهذه صفة المخلوقين ، تعالى اللَّه عن ذلك علوا كبيرًا .

وقد حمد اللَّه عز وجل لإبراهيم خليله ورسوله ، وعبده ، إذ بيَّن لقومه بنقلة القمر أنَّه ليس ربًا ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ ﴾ [الأنعام ٧٦] .[٢٦]اهـ

= أو قال كذا ... إلى أن قال: ولا يمكن ملك من الملائكة أن يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له، ولا يقول لا يسأل عن عبادي غيري، كما رواه النسائي وابن ماجه وغيرهما، وسنده صحيح أنَّه يقول: لا يسأل عن عبادي غيري، وهذا أيضًا مما يُبطل حجة بعض النَّاس فإنَّه احتج بما رواه النَّسائي في بعض طرق الحديث ، أنه يأمر مُناديًا فيُنادي ، هذا إن كان ثابتًا عن النَّبي ﷺ فإن الربَّ يقول ذلك، ويأمر مُناديًا بذلك، لا أنَّ المُنادي يقول من يدعوني فاستجيب له، ومن روى عن رسول الله ﷺ أنَّ المُنادي يقول ذلك فقد علمنا أنَّه يكذب على رسول الله ﷺ فإنَّه مع أنَّه خلاف اللفظ المُستفيض المتواتر الذي نقلته الأمة خلفًا عن سلف فاسدٌ في المعقول، يُعلم أنَّه من كذب بعض المُبتدعين، كما روى بعضهم « يُنزل » بالضم، وكما قرأ بعضهم: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهَ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [سورة النساء ١٦٤] ، ونحو ذلك من تحريفهم اللفظ والمعنى) .اهـ

(٢٥) وقد سبق الرد على هذه الشبهة في الحاشية رقم (٢٠) .

(٢٦) لم يحتج إبراهيم – عليه السلام – على قومه بحركته، وإنَّما احتج عليهم بغيابه .

ف: أفل النجم أفلًا ، وأفولًا : غاب، فهو آفل، جمع أُفل، و أُفول .

وفي القرآن: ﴿ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ ﴾ .

(المُعجم الوسيط ١ / ٢٢) .

والذين يقولون بنزول الله عز وجل في الثُّلث الأخير من الليل من جمهور السلف لا يقولون بغيابه عن عرشه، وإنَّما يثبتون النُّزول فقط . فانتبه

٢- الوجه

قال فى «الفصل» ٢ / ٣:

(قال أبو محمد: قال اللَّه تعالى : ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [سورة الرحمن ٢٧] .

فذهبت المُجسمة إلى الاحتجاج بهذا فى مذهبهم .

وقال الآخرون : وجه اللَّه تعالى إنما يُراد به اللَّه عز وجل .

وقال أبو محمد : وهذا لا ينبغي أنْ يُطلق ، لأنَّه تسمية ، وتسمية اللَّه تعالى لا تجوز إلا بنص ، ولكنَّا نقول : وجه اللَّه ليس هو غير اللَّه تعالى ، ولا نرجع منه إلي شئ سوى اللَّه تعالى .

برهان ذلك : قول اللَّه – حاكيًا عن من رضي قوله – : ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ [سورة الإنسان ٩] .

فصحَّ يقينًا أنَّهم لم يقصُدوا غير وجه اللَّه به .

قال تعالى : ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة ١١٥] .

وإنَّما معناه : فثمَّ اللَّه تعالى بعلمه ، وقبوله لمن توجه إليه) .اهـ

وقال نحوه في «المحلَّى» :

(وجه اللَّه ليس هو غير اللَّه تعالى ، لا نرجع منه إلى شئ سوى اللَّه تعالى .
وبُرهان ذلك : قول اللَّه – حاكيًا عن من رضي– قوله : ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ [سورة الإنسان ٩] .

فصحَّ يقينًا أنهم لم يقصدوا غير وجه الله .

وقوله تعالى : ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة ١١٥] .

إنَّما معناه : فثمَّ اللَّه تعالى بعلمه وقبوله لمن توجه إليه)[٢٧].اهـ

---

(٢٧) اعلم يرحمك الله أنَّ الكلام في الصفات فرعٌ عن الكلام في الذات، فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات تكييف، فكذلك إثبات الصفات . =

٣ - اليد

قال في « الفصل » ٢ / ٣:

﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [سورة الفتح ١٠] .

وقال تعالى : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [سورة ص ٧٥] .

وقال تعالى : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [سورة المائدة ٦٤] .

وقال رسول اللَّه ﷺ : المُقسِطون عن يمين الرَّحمن ، وكلتا يديه يمين .[٢٨]

فذهبت المُجسمة إلي ما ذكرنا ، مما قد سلف من بُطلان قولهم فيه ، وذهبت المُعتزلة إلي أنَّ اليَّد « النِّعمة » ، وهذا أيضا لا معنى له ، ودعوى بلا بُرهان .

وقال الأشعري[٢٩]: إنَّ المُراد بقول اللَّه تعالى « أيدينا » إنما معناه

= قال العلامة صالح الفوزان - حفظه الله - في « شرح العقيدة الواسطية » ص ١٣٤:

(وهو وجه على حقيقته، يليق بجلاله، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾لا كما يزعم مُعطلة الصِّفات أنَّ الوجه ليس على حقيقته، وإنما المُراد به الذات، أو الثواب، أو الجهة، أو غير ذلك .

وهذه تأويلات باطلة من وجوه :

- منها: أنَّه جاء عطف الوجه على الذات، كما في الحديث: أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم ، والعطف يقتضي المُغايرة .

- ومنها : أنَّه أضاف الوجه إلى الذات ، فقال : ﴿ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ ، ووصف الوجه بقوله : ﴿ ذُو الْجَلَالِ ﴾ ، ﴿ وَالْإِكْرَامِ ﴾ ، فلو كان الوجه هو الذات لكان لفظ الوجه صلة ، ولقال : ذي الجلال والإكرام ، فلما قال : ﴿ ذُو الْجَلَالِ ﴾ تبين أنَّه وصفٌ للوجه لا للذات، وأنَّ الوجه صفة للذات .

- ومنها: أنَّه لا يُعرف في لغة أُمَّة من الأمم أنَّ وجه الشئ بمعنى ذاته أو الثواب، والوجه في اللغة مُستقبلُ كل شئ؛ لأنَّه أول ما يواجه منه، وهو في كل شئ بحسب ما يُضاف إليه) .اهـ

(٢٨) أخرجه مُسلم في صحيحه: (كتاب الإمارة / باب: فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر / ح ١٨). من حديث عبد الله بن عمرو بن العاصي .

وهذه الجُملة قطعة من حديث لفظه: إن المُقسطين عند الله، على منابر من نور، عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين ؛ الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوًا .

(٢٩) سبق ضبطه في الحاشية رقم (٨) .

« اليدان » ، وأنَّ ذِكرَ « الأعين » إنَّما معناه « عينان » ، وهذا باطل مدخل فى قول المجسمة بل نقول : إنَّ هذا إخبار عن اللَّه عز وجل ، لا يرجع من ذكر اليد إلي شئ سواه تعالى ، ونُقر أنَّ للَّه تعالى - كما قال- يدًا ، وأيدٍ ، وعينًا ، وأعين .

وصحَّ عن رسول اللَّه ﷺ : وكلتا يديه يمين .(٣٠)

و : عن يمين الرَّحمن .(٣١)

فهو مثل قوله : ﴿ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم ﴾ [سورة النساء ٣٩]٠

يريد وما ملكتم .

وكما قال الشَّماخ :

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عُرابة باليمين

يُريد أنَّه يتلقاها بالسَّعي الأعلى ، كان قوله : وكلتا يديه يمين ما يكون منه تعالى من الفضل فهو الأعلى) .اهـ(٣٢)

(٣٠) هذه الجُملة جزء من حديث سبق تخريجه، راجع الحاشية رقم (٢٨) ٠

(٣١) هذه الجُملة جزء من الحديث الذي ذكرناه في الحاشية رقم (٢٨) .

(٣٢) قلت: وهذا لا يصلح البتة، فقد أضاف الله عز وجل اليمين إلى نفسه وما أضافه الله إلى نفسه على ثلاثة أقسام بيّنها العلّامة العُثيمين - رحمه الله - حيث قال في «فتاوى العقيدة » ص ٤٧ :

(أقسام ما أضافه الله إلى نفسه ثلاثة :

القسم الأوَّل: العين القائمة بنفسها، فإضافتها من باب إضافة المخلوق إلى خالقه، وهذه الإضافة قد تكون على سبيل العموم، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ ﴾ سورة العنكبوت ٥٦.

وقد تكون على سبيل الخصوص لشرفيته، كقوله تعالى: ﴿ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾. سورة البقرة ١٢٥.

وقوله تعالى: ﴿ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴾ سورة الشمس ١٣.

وهذا القسم مخلوق.

القسم الثاني: العين التي يقوم بها غيرها مثل قوله تعالى: ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ سورة النساء ١٧١.

فإضافة هذه الروح إلى الله من باب إضافة المخلوق إلى خالقه تشريفًا، فهي روح من الأرواح التي خلقها الله، وليست جُزءًا من الله، إذ هي حلت في عيسى - عليه السلام - وهو عين منفصلة عن الله، وهذا القسم مخلوق. =

٤، ٥ - القدم، الرجل

قال في « الفصل » ٢ / ٤:

(وكذلك صحَّ عن النبي ﷺ أنَّهُ قال: إنَّ جهنَّم لا تمتلئ حتَّى يضع فيها قدمه(٣٣).

وصحَّ أيضًا في الحديث: حتَّى يضع فيها رجله(٣٤).

ومعنى هذا ما قد بيَّنَهُ رسول اللَّه ﷺ في حديثٍ أخر صحيح أخبر فيه أنَّ

= القسم الثالث: أن يكون وصفًا محضًا يكون فيه المُضاف صفة الله.

وهذا القسم غير مخلوق لأن جميع صفات الله غير مخلوقة، ومثاله: قدرة الله، وعزة الله، وهو في القرآن كثير). اهـ

(٣٣) هذا حديث متفق عليه من وجهين:

- عن أبي هُريرة - رضي الله عنه -:

أخرجه البخاري في عدة مواضع من صحيحه منها: (كتاب تفسير القرآن / باب: قوله ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ سورة ق ٣٠ / ح ٤٨٤٩).

وأخرجه مُسلم في صحيحه: (كتاب الجنة وصفة نعيمها / باب: النَّار يدخلها الجبَّارون والجنَّة يدخلها الضعفاء / ح ٣٧، ٣٨).

- وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه: -

أخرجه البُخاري في عدة مواضع من صحيحه، منها: (كتاب تفسير القرآن / باب: قوله ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ سورة ق ٣٠ / ح ٤٨٤٨).

وأخرجه مُسلم في صحيحه: (كتاب الجنَّة وصفة نعيمها / باب: النَّار يدخلها الجبارون والجنَّة يدخلها الضُّعفاء / ح ٣٧، ٣٨).

(٣٤) هذا حديث مُتفق عليه من حديث أبي هُريرة - رضي الله عنه -:

أخرجه البُخاري في صحيحه: (كتاب تفسير القرآن / باب: قوله: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ سورة ق ٣٠ / ح ٤٨٥٠).

وأخرجه مُسلم في صحيحه: (كتاب الجنة وصفة نعيمها / باب: النَّار يدخلها الجبَّارون والجنَّة يدخلها الضعفاء / ح ٣٤، ٣٥، ٣٦).

بينما تفرد به مُسلم من حديث أبي سعيد الخُدري - رضي الله عنه -. =

اللَّه تعالى بعد يوم القيامة يخلقُ خلقًا يُدخلهم الجَنَّة[٣٥]، وأنَّه تعالى يقول للجنَّة والنَّار: لكلٍ واحدةٍ منكُما ملؤها. [٣٦]

فمعنى القَدَم فى الحديث المذكور: إنَّما هو كما قال تعالى ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [سورة يونس ٢].

يريد: سالف ذكر، فمعناه الأُمة التي تقدَّم فى علمه تعالى أنَّه يملأ بها جهنم، ومعنى« رجله » مثل ذلك، لأنَّ الرِّجل الجماعة فى اللغة، أي: يضع فيها الجماعة التي سبق فى علمه أنهم من أهلها) .اهـ [٣٧]

* * *

= أخرجه مُسلم في صحيحه: (كتاب الجنَّة وصفة نعيمها / باب: النَّار يدخلها الجبَّارون والجنَّة يدخلها الضعفاء / ح ٣٦ مُكرر).

(٣٥) أخرجه مُسلم في صحيحه: (كتاب الجنَّة وصفة نعيمها / باب: النَّار يدخلها الجبَّارون والجنَّة يدخلها الضعفاء / ح ٣٨، ٣٩).

(٣٦) هذه الجُملة جزء من حديث أبي هُريرة المُخَرَّج في الحاشية رقم (٣٣).

(٣٧) قلت: والقول في هذا قريبٌ من القول في الوجه، واليد، إذ أنَّ رب العزة قد أضاف القدم والرِّجل لنفسه وكنَّا وقد نقلنا كلامًا مطوَّلا للعلامة ابن عُثيمين - رحمه الله- .

خلاصته: أنَّ ما أضافه الله لنفسه على ثلاثة أقسام: إمَّا أنْ يكون المُضاف لـ «عين» قائمة بنفسها كالأرض في قولك: أرض الله، فهذه إضافة خلق وتشريف، وإمَّا أنْ يكون لـ «عين» يقوم بها غيرها كالروح في قوله تعالى ﴿ وروحٌ منه ﴾ سورة النساء ١٧، وإمَّا أنْ يكون وصفًا محضًا فيكون المُضاف فيه صفة لله، وفي هذا القسم الأخير لا يجوز النقل أو التأويل لثبوت الوصف لذات الله.

ولقد شاغب الذين تأولوا القدم والرِّجل بأنهم أرادوا تنزيه الله عز وجل عن مُشابهة المخلوقات، وكلامهم أفسد من قول المُشابهة لأنَّهم لم يُعطلوا الصفات إلا بعد الوقوع في التَّشبيه فقد ربطوا بين صفة المخلوق والخالق أوَّلا ثم عطلوها ثانية لنفي هذا الربط، ولو أنصفوا لعملوا بما قال به السلف.

لذا قال الخطيب البغدادي في (الكلام على الصِّفات) ص ٢٠ وما بعدها:

(مذهب السَّلف - رضوان الله عليهم - إثباتها وإجراؤها على ظواهرها، ونفي الكيفية والتَّشبيه عنها.

٦ - الساق

قال في الفصل ٢ / ٧:

(وكذلك ما صحَّ عن النَّبي ﷺ عن يوم القيامة : إنَّ اللَّه عز وجل يكشف عن ساق ، فيخرون سُجَّدًا .[٣٨]

فهو كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [سورة القلم ٤٢] ٠

وإنَّما هو إخبار عن شدَّة الأمر ، وهول الموقف ، كما يُقال : شمَّرت الحرب عن ساقِها ٠

= قد نفاها قومٌ ؛ فأبطلوا ما أثبته الله سبحانه، وحققها قوم من المُثبتين ؛ فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشّبيه والتّكييف .

والقصد هو سلوك الطّريقة المتوسطة بين الأمرين، ودين الله بين الغالي والمقصر عنه، والأصل في هذا: أنَّ الكلام في الصّفات فرعٌ في الكلام في الذات، و يُحتذى في ذلك حذوه ومثاله ٠

فإذا كان معلومًا أنَّ إثبات رب العالمين عز وجل إنَّما هو إثبات وجود، لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته إنَّما هو إثبات وجود، لا إثبات تحديد وتكييف.

فإذا قلنا: لله تعالى يد وسمع وبصر، فإنما هي صفات أثبتها الله تعالى لنفسه، ولا نقول أنَّ معنى السّمع والبصر: العلم، ولا نقول: إنَّها جوارح، ولا نُشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار وأدوات الفعل .

ونقول: إنَّما وجب إثباتها ؛ لأنَّ التّوقيف ورد بها، ووجب نفي التّشبيه عنها ؛ لقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ سورة الشورى ١١ ٠

وقوله عز وجل : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ سورة الإخلاص ٤) ٠اهـ

(٣٨) متفق عليه .

من حديث أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه في الرُّؤيا ٠

أخرجه البُخاري في صحيحه: (كتاب التّوحيد / باب: قول الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ سورة القيامة ٣٢- ٣٣ / ح ٧٤٣٩) .

وأخرجه مُسلم في صحيحه: (كتاب الإيمان / باب: معرفة طريق الرُّؤية / ح ٣٠٢،٣٠٣) .

قال جرير:

ألا ربَّ سامي الطـرفِ مـن آل إذا شمَّرت عن ساقها الحرب شمَّرا) أهـ[٣٩]

* * *

(٣٩) ويُجاب عن هذا بأن النبي ﷺ قد أضاف السّاق إلى رب العزة، وكنّا قد قررنا آنفًا أنَّ المُضاف إلى الله على ثلاثة أقسام، وأن إضافة الوصف المحض إلى الله يكون فيه المُضاف صفة لله لا تحتمل التّأويل.

قال العلّامة عبد الرحمن بن ناصر السّعدي في «توضيح الكافية الشّافية» ص ٦٧:

(الذي يُضيفه الله إلى نفسه:

– إمّا أعيان يخصُّها بهذه الإضافة المُقتضية للاختصاص والتّشريف، مثل: عبد الله، وناقة الله، وبيت الله، ومثله ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ ﴾ سورة الفُرقان ٦٣.

فهذه أعيان قائمة بأنفسها وهي جملة من المخلوقات، ولكنه أضافها إلى نفسه تفضيلاً لها على غيرها وتعظيمًا.

– وإمّا إضافة أوصاف كـ «علم الله»، و«قدرته»، و«إرادته».

وكذلك كلامه، وحياته، فهذه الإضافة تقتضي قيامها بالله، وأنّه موصوفٌ بها، وكذلك ما أخبر أنّه منه، فإن كان أعيانًا كروح منه: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ سورة الجاثية ١٣.

فهذه منه خلقًا وتقديرًا.

وإن كان ذلك أوصافًا كقوله: ﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ ﴾ سورة الزمر ١، دلَّ على أنَّ ذلك من صفاته لامتناع قيام الصِّفة بنفسها.

ولهذا لمَّا اهتدى «السّلف» لهذا الفرق الذي يحصُل به الفُرقان بين الحق والباطل هُدوا إلى الصِّراط المُستقيم، ولمَّا ضلَّ عنه «الجهميَّة» ونحوهم وقعوا في الأقوال الباطلة. والله أعلم). اهـ

جاء في رواية البخاري، ومسلم – رحمهما الله – والمشار إليهما في الحاشية السابقة:

«فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فلا يُكلمه إلا الأنبياء، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟، فيقولون: الساق، فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن».

=

٧ - الأصابع

قال في « الفصل » ٢ / ٥:

(وكذلك الحديث الصَّحيح أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال : إنَّ قلبَ المؤمن بين أصبعين من أصابع اللَّه تعالى(٤٠).

= وقد تكلم بعض الفُضلاء في أنَّ الضَّمير في « ساقه » لم يرد في بعض الرِّوايات لذا ينبغي حمل اللفظ على ما ورد في القرآن الكريم ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾، وخاصة أن بعض الروايات قد أتت به .

قال العلامة الألباني – رحمه الله – في « السلسلة الصحيحة » ٢ / ١٢٤:

(**قال الإسماعيلي:** هذا أصح لموافقتها لفظ القرآن في الجُملة، فلا يُظن أنَّ الله ذو أعضاء وجوارح لما في ذلك من مُشابهة المخلوقين تعالى الله عن ذلك ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ .

قلت: نعم ليس كمثله شيءٌ ولكن لا يلزم من إثبات ما أثبته الله لنفسه من الصِّفات شيءٌ من التَّشبيه أصلًا كما لا يلزم من إثبات ذاته تعالى التَّشبيه، فكما أنَّ ذاته تعالى لا تُشبه الذوات وهي حق ثابت، فكذلك صفاته تعالى لا تشبه الصِّفات، وهي أيضًا حقائق ثابتة ، تتناسب مع جلال الله وعظمته وتنزيهه ، فلا محذور من نسبة الساق إلى الله ، إذا ثبت ذلك في الشَّرع ، وإن كنت أرى من حيث الرواية أنَّ لفظ « ساق » أصح من لفظ « ساقه »، فإنَّه لا فرق عندي من حيث الدِّراية بينهما، لأنَّ سياق الحديث يدل على أنَّ المعنى هو « ساق الله » تبارك وتعالى، وأصرح الرِّوايات في ذلك رواية هشام عند الحاكم بلفظ: «هل بينكم وبين الله من آية تعرفوها ؟، فيقولون: نعم السَّاق، فيكشف عن ساق ».

هذا صريح أو كالصريح بأنَّ المعنى إنما هو ساق ذي الجلالة تبارك وتعالى، فالظاهر أنَّ سعيد بن أبي هلال كان يرويه تارة بالمعنى حيث كان يقول: ولا بأس من ذلك ما دام أنه أصاب الحق) . اهـ

قلت: وهذا كلام جيدا في إلزام الخصم برواية: « فيكشف عن ساق »، ولكن الرِّواية الأولى: « عن ساقه » صحيحه .

فقول العلَّامة الألباني « أصح » لم ينفْ الصحة عن الرِّواية الأولى، ضف إلى ذلك أنَّ اتفاق البخاري ومسلم على إخراجها دليل قوتها وصحتها وتقديمها على الرِّواية الأخرى.

(٤٠)أخرجه مسلم في صحيحه: (كتاب القدر / باب: تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء /ح ١٧) . من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه .

أي : بين تدبيرين ونعمتين من تدبير اللَّه عز وجل ، إمَّا كِفاية تَسُرُّه وإمَّا بلاءٌ يأجُره عليه . والأصبع فى اللُّغة النِّعمة ، وقلب كل أحد بين توفيق اللَّه وجلاله ، وكلاهما حِكمة) .أهـ[٤١]

* * *

(٤١) نقل السفاريني عن شيخ الإسلام ابن تيمية كما في « لوامع الأنوار » ١/ ٢٣٧:
(قوله ﷺ : الحجر الأسود يمين الله في الأرض فمن صافحه أو قبله فكأنَّما صافح الله، وقبَّل يمينه، صريح في أنَّ الحجر ليس هو صفة اللَّه ، ولا هو نفس يمينه ، فالمشُبَّه ليس هو المُشَبَّه به ... إلى أنْ قال : قوله ﷺ : « قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن » ، فإنه ليس في ظاهره أنَّ القلب متصلٌ بالأصابع ، ولا مماس لها ، فالسحاب المُسَخَّر بين السَّماءِ والأرضِ لم يقتض أن يكون مماس للسَّماء والأرض، ونظائر هذا كثيرة، فمذهب السَّلف في هذا ونظائره من الأخبار المُتشابهة الواردة في صفات الله عز وجل ما بلغنا وما لم يبلغنا مما صح عنه ﷺ اعتقادنا فيه، وفي الآي المتشابهة في القرآن أن نقبلها، ولا نردها، ولا نتأوَّلها بتأويل المُخالفين، ولا نحملها على تشبيه المشبهين ولا نزيد عليها، ولا ننقص منها ولا نفسرها، ولا نكيفها، فنطلق ما أطلقه الله ورسوله، وأصحابه والتَّابعون، والأئمة المرضيون من السلف المعروفين بالدِّين والأمانة – رضوان الله عليهم أجمعين – فهذا مذهب سلف الأمة وسائر الأئمة، والعدول عنه وصمة والالتفات إلى سواه نقمة، وبالله التوفيق) ٠اهـ

٨، ٩ - المجئ والإتيان

قال فى « الفصل » ٢ / ١٢:

(قد حَمِدَ اللَّه عز وجل لإبراهيم خليله ورسوله وعبده ﷺ ، إذ بينَّ لقومه بنقلة القمر أنه ليس ربًا .

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ ﴾ [سورة الأنعام ٧٦] .

وكُلُّ مُنتقلٍ عن مكانٍ فهو آفلٌ عنه – تعالى اللَّه عن هذا– .[٤٢]

وكذلك القول فى قوله تعالى : ﴿ وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [سورة الفجر ٢٢] . وقوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَ الْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ ﴾ [سورة البقرة ٢١٠] .

فهذا كلُّهُ على ما بيّنا من أنَّ المجيء والإتيان يوم القيامة فعل يفعله اللَّه عز وجل فى ذلك اليوم ويُسمى ذلك الفعل مجيئًا ، وإتيانًا .

وقد رُوِّينا عن أحمد بن حنبل – رحمه اللَّه – أنَّه قال : وجاء ربك إنَّما معناه : وجاءَ أمرُ ربِّك) .أهـ[٤٣] .

---

(٤٢) قد سبق الرد على هذه الشُّبهة في الحاشية رقم (٢٦).

(٤٣) قال العلَّامة صالح بن فوزان الفوزان في « شرح العقيدة الواسطية » ص١٣٣:

(ومجيئه وإتيانه سبحانه من صفاته الفعلية، يجب إثباتهما على حقيقتهما، ولا يجوز تأويلهما بـ« مجيء » أو « إتيان » أمره، كما يفعله نُفاة الصِّفات، فيقولون: ﴿ وَجَاء رَبُّكَ﴾ سورة الفجر ٢٢ أي: جاء أمره، وهذا من تحريف آيات الله.

قال الإمام ابن القيم – رحمه الله –: « والإتيان، والمجئ المُضاف إليه سُبحانه نوعان: مُطلقٌ ومُقيَّد، فإذا كان المُراد مجئ رحمته أو عذابه ونحو ذلك قُيِّد بذلك كما في الحديث: حتَّى جاء الله بالرَّحمة والخير، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾سورة الأعراف ٥٢.

النَّوع الثاني: الإتيان والمجئ المُطلق، فهذا لا يكون إلا مجيئه سبحانه، كقوله: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ ﴾ سورة البقرة ٢١٠.

وقوله: ﴿ وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾سورة الفجر ٢٢) . أهـ.

١٠ - الأمر

قال فى «الفصل» ٢/٧ (بتصرف) :

(وجدنا اللّه تعالى يقول : ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [سورة النّساء ٤٧] .

والمَفعولُ مَخلوقٌ بلا شك .

وقال اللّه تعالى : ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ [سورة يوسف ٢١] .

و بلا شك فى أنَّ المغلوب عليه مغلوب ، وأنَّه غير الغالب عليه .

وقال تعالى : ﴿لاَ تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [سورة الطلاق : ١] .

وهذا بيان جلي لا إشكال فيه على أنَّ الأمر مُحدث .

وقال رسول الله : إنَّ اللّه يُحدِثُ من أمرِهِ ما يشاء . (٤٤)

فصحَّ بيقين أنَّ أمر اللّه تعالى مُحدثٌ مخلوقٌ .

فإن اعترض معترضٌ بقول اللّه عز وجل : ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ [سورة الأعراف ٥٤] .

ورامَ بهذا إثبات أنَّ الخلق غير الأمر ، فلا حُجة له فى هذا لأنَّ اللّه عز وجل

---

(٤٤) صحيح .

علقه البُخاري في صحيحه: (كتاب التوحيد / باب: قول الله تعالى (كل يوم هو في شأن) سورة الرحمن ٢٩). وأخرجه: أبو داود في سننه: (كتاب الصلاة / باب: رد السلام في الصلاة / ح ٩٢٤).

والنسائي في سُننه: (كتاب السهو / باب: الكلام في الصلاة / ٣ / ١٩) .

وأحمد في المُسند: (٣ / ٣٧٧، ٤٠٩، ٤١٥، ٤٣٥، ٤٦٣) .

ولفظه: قال ابن مسعود رضي الله عنه : كنا نسلم في الصلاة، ونأمر بحاجتنا، فقدمت على رسول الله ﷺ وهو يصلي فسلمت عليه فلم يرد على السلام، فأخذني ما قَدُمَ وحَدُثَ، فلمَّا قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال: إنَّ الله يُحدث من أمره ما يشاء، وإنَّ الله جل وعز قد أحدث من أمره أن لا تكلموا في الصلاة فردَّ عليَّ السلام.

وصححه العلامة الألباني - رحمه الله - في « صحيح الجامع » برقم: ١٨٩٢، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ [سورة الانفطار ٦ - ٨] .

فقد فرّق اللّه تعالى فى هذه الآية بين الخلق ، والتّسوية ، والتّعديل ، والتّصوير ، و لا خلاف فى أنَّ كل ذلك خلق اللّه عز وجل مخلوق .

قال تعالى : ﴿ خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ [سورة الروم ٤٠] .

فعطف تعالى الرّزق ، والإماتة ، والإحياء ، على الخلق بلفظة « ثم » فلو كان عطف الأمر على الخلق دليلًا على أنَّ الأمر غير الخلق لوجب ولا بد أنْ يكون الرّزق ، والإماتة ، والإحياء ، والتّصوير كلها غير الخلق ، وغير مخلوقات ، وهذا لا يقوله مُسلم .

فبطل استدلالهم على أنَّ الأمر غير مخلوق لعطفه على الخلق ، وقد عطف تعالى جبريل على الملائكة ، فليس العطف على الشئ مُخرجًا له عنه إذا قام بُرهانٌ على أنّه داخل فيه ، وقد قام بُرهان بأنَّ أمر اللّه مخلوق ، وأنّه قدرٌ مقدورٌ مفعولٌ .

و أمّا إذا لم يأتْ بُرهان يُدخل المعطوف فى المعطوف عليه فهو غيُره بلا شك هذا حُكم اللغة . وبالله التوفيق) .أهـ(٤٥)

---

(٤٥) قال العلاَّمة عبد الرحمن بن ناصر السّعدي - رحمه الله - في « ... افية الشّافية » ص ٦٥:

(فصل: في التّفريق بين الخلق والأمر:

اعلم أنَّ مذهب سلف الأمّة وأئمتها أنَّ الخلق غير الأمر، وأنَّ الفعل غير المفعول، فالفعل صفةٌ لله، والمفعولُ هو المخلوق، والأمر تنشأ عنه المأمورات والشّرائع، والخلق تنشأ عنه المخلوقات كلها.

وقد دلَّ على هذا، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ سورة الأعراف ٥٤ .

فتدبر هذه الآية الكريمة تجدها مُصرّحةً بأنَّ الخلق غير الأمر، كما هو الأصل أنَّ المعطوف غير المعطوف عليه، ويُمتنع أنّهما شئٌ واحد، فإنّه صرح فيها أنَّ الشمس والقمر والنجوم مُسخراتٍ بأمره، وذلك بعدما أخبر أنَّ خلقها، فخلقها ثُمَّ سخرها بأمره، والأمر سواءٌ قيل إنّه مصدرٌ أو مفعول فالغرض حاصل، فإن كان مصدرًا وهو الأظهر فهو وصف ظاهر، وإن كان اسم مفعول بمعنى =

....

* * *

= المأمور فإن المأمور ناشئٌ عن الأمر كالمصنوع ناشئ عن الصَّنعة، فيلزم من وجود المأمور وجود الأمر، ومن انتفاء المأمور انتفاء الأمر، وكما يلزم من وجود المخلوق وجود صفة الخلق الذي هو الفعل وبه وجد المخلوق، ومن نفيه انتفاء الخلق وتدبر في هذه الآية سرًا عجيبًا، فإنَّه ذكر في أوَّلها خلقه السَّموات والأرض خصوصًا، وتسخيره الشَّمس والقمر والنُّجوم بأمره أيضًا، وصرح فيهما بالفعل، وذكر في آخرها الوصف والتَّعميم في قوله : ﴿ أَلَا لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾ سورة الأعراف ٥٥ .

فجمع بين فعله ووصفه على وجه الخصوص، ووجه العموم ، فهذا القول الحق الموافق لما دلَّ عليه القرآن، ولما هو معقول عند أولى الألباب. وأمَّا الجهميَّة ومن تبعهم من المُتكلِّمين فحيث كان أصل قولهم أنَّ الفعل هو عين المفعول سووا بين الخلق والأمر .

وهذا مُتناقضٌ باطلٌ مخالفُ للنَّقل وللمعلوم بالعقل، فكيف يثبتون فرعًا بلا أصل؟، وهل هذا إلا مبطلٌ للفرع والأصل) ،اهـ

بيـــان
بعض ما خالف فيه ابن حزم
في مسألة القُرآن

بعض ما خالف فيه ابن حزم

في مسألة القُرآن

قال ابن حزم في «الفِصَل» ٣ / ١٤:

(وقولنا كلامُ اللّه تعالى لفظٌ مُشترك يُعبر به عن خمسة أشياء، فنُسمِّي الصَّوت المسموع الملفوظ به قُرآنًا، ونقول إنَّه كلام اللّه تعالى على الحقيقة.

وبُرهانُ ذلك قول اللّه عز وجل: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ﴾ [سورة التوبة ٦].

﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة ٧٥].

وقوله تعالى: ﴿ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾ [سورة المُزَّمِّل ٢٠].

وأنكر على الكُفَّار، وصدَّق مؤمني الجن في قولهم: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ﴾ [سورة الجن ١- ٢].

فصحَّ أن المسموع وهو الصَّوت الملفوظ به: هو القرآن حقيقة، وهو كلام اللّه تعالى حقيقة، ومن خالف هذا فقد عاند القُرآن.

ويُسمى المفهوم من ذلك الصَّوت قُرآنًا، وكلام اللّه على الحقيقة، فإذا فسَّرنا الزَّكاة المذكورة في القُرآن، والصَّلاة والحج وغير ذلك قُلنا في كل هذا: هذا كلام الله، وهو القُرآن.

ويُسمى المُصحف كله قُرآنًا، وكلام الله، وبُرهاننا على ذلك قول اللّه تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لَّا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴾ [سورة الواقعة ٧٧ - ٧٩]. وقول رسول اللّه ﷺ إذ نهى أن يُسافَر بالقُرآن إلى أرض العدو لئلا يناله العدو. [٤٦]

---

(٤٦) مُتفق عليه.

وقوله تعالى : ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ * رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً * فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾ [سورة البيّنة ١ - ٣] .

وكتاب اللَّه تعالى هو القُرآن بإجماع الأمَّة ، وقد سَمَّى رسول اللَّه ﷺ المُصحف قرآنًا ، والقُرآن كلام اللَّه بإجماع الأمَّة فالمُصحف كلام اللَّه حقيقة لا مجازًا .

ويُسمى المُستقر في الصُّدور قُرآنًا ، ونقول أنَّه كلام اللَّه تعالى ، وبُرهانُنا على ذلك : قول النَّبي ﷺ إذ أمر بتعاهد القُرآن ، وقال ﷺ إنَّه أشدُّ تفصّيًا(٤٧) من صدور الرِّجال من النَّعم(٤٨) من عِقَلِها(٤٩) .

= من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنه -.

أخرجه البُخاري في صحيحه: (كتاب الجهاد والسير / باب: السفر بالمُصحف إلى بلاد العدو / ح ٢٩٩٠).

ومسلم في صحيحه: (كتاب الإمارة / باب: النهي أن يُسافر بالمُصحف إلى أرض الكفَّار إذا خيف وقوعه بأيديهم / ح ٩٢، ٩٣، ٩٤).

وزيادة: لئلا يناله العدو، تفرد بها مُسلم.

(٤٧) التَّفَصِّي : التَّفَلُّت .

(٤٨) النَّعم: بفتح النون الموحدة، المال السائم، وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل.

(٤٩) العِقَال: بكسر العين المُهملة، وفتح القاف المُثناة، الحبل الذي يُعقل به البعير.

(المعجم الوسيط ٢ / ٦٤٠).

وهذا الحديث مُتفق عليه عن غير واحد من الصحابة:

- حديث أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه -.

أخرجه البُخاري في صحيحه: (كتاب: فضائل القُرآن / باب: استذكار القُرآن وتعاهده / ح ٥٠٣٣) .

ومسلم في صحيحه: (كتاب صلاة المُسافرين وقصرها / باب: الأمر بتعهد القُرآن / ح ٢٣١) .

- حديث عبد الله بن عُمر - رضي الله عنهما -.

- حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -.

وقال تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ [سورة العنكبوت ٤٩] .

فالذي في صدور الرِّجال هو القُرآن ، وهو كلام اللَّه عز وجل حقيقةً لا مجازًا .

ونقول كما قال رسول اللَّه ﷺ : إنَّ آية الكُرسي أعظم آية في القُرآن [٥٠]

وإنَّ أمَّ القُرآن فاتحةُ الكتابِ المُنزَّلة في القُرآن لا في التَّوراة ، ولا في الإنجيل مثلها [٥١].

وأنَّ قل هو اللَّه أحد تعدل ثُلث القُرآن [٥٢]

وقال عز وجل : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ [سورة البقرة ١٠٦] .

---

(٥٠) أخرجه مُسلم في صحيحه: (كتاب: صلاة المُسافرين وقصرها / باب: فضل سورة الكهف / ح ٢٥٨).

من حديث أُبي بن كعب - رضي الله عنه -.

(٥١) أخرجه البُخاري في غير موضع من صحيحه، منها: (كتاب: تفسير القرآن / باب: سورة الفاتحة، ما جاء في فاتحة الكتاب / ح ٤٤٧٤).

من حديث أبي سعيد رافع بن المُعلَّى .

(٥٢) متفق على معناه .

إلا أنَّ البخاري أخرجه من طريق أبي سعيد الخُدري في غير موضع من كتابه، منها :

(كتاب فضائل القُرآن / باب: فضل قل هو الله أحد / ح ٥٠١٣، ٥٠١٤، ٥٠١٥) .

بينما أخرجه مُسلم في صحيحه عن عدد من الصحابة، منهم:

- أبو الدَّرداء رضي الله عنه : وحديثه في: (كتاب صلاة المُسافرين وقصرها / باب: فضل قل هو الله أحد / ح ٢٥٩، ٢٦٠) .

- أبو هُريرة رضي الله عنه : وحديثه في: (كتاب الصَّلاة / باب: فضل قراءة قل هو الله أحد / ح ٢٦١، ٢٦٢) .

- عائشة - رضي الله عنها -: وحديثه في: (كتاب الصَّلاة / باب: صلاة المُسافرين وقصرها / ح ٢٦٣) .

فإن قالوا : إنَّما يتفاضل الأجر على قراءة كُل ذلك .

قُلنا لهم : نعم ولا شك في ذلك ، ولا يكون التَّفاضل في شئ مما فيه التَّفاضل إلا في الصِّفات التي هي أعراضٌ في الموصوف بها ، وأمَّا في الذَّوات فلا نقول أيضًا إنَّ القُرآن هو كلام اللَّه تعالى وهو علمه وليس هو شيئًا غير الباري تعالى .

بُرهان ذلك قول اللَّه عز وجل : ﴿وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة يونس ١٩] .

وقال تعالى : ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لاَّ مُبَدِّلِ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [سورة الأنعام ١١٥] .

وباليقين يدري كل ذي حسٍ سليم إنَّما عنى سابق علمه الذي سلف فيما ينفذه ويقضيه .

قال أبو مُحمد : فهذه خمسة معانٍ يُعبَّر عن كُل معنى منها بأنَّها قُرآن وبأنَّه كلام اللَّه تعالى ، ويُخبر عن كل واحدٍ منها أخبارًا صحيحة بأنَّه قُرآن ، وبأنَّه كلام اللَّه تعالى بنصِّ القرآن والسُّنَّة اللذين أجمع عليهما جميع الأمَّة ، وأمَّا الصَّوت فهو : هواءٌ يندفعُ من الحلقِ ، والصَّدر ، والحنك ، واللِّسان ، والأسنان ، والشَّفتين إلى آذان السَّامع ، وهو حروف الهجاء ، والهواء وحروف الهجاء وكل ذلك مخلوق بلا خلاف .

قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهـم﴾ [سورة إبراهيم ٤] .

وقال تعالى : ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [سورة الشُّعراء ١٩٥] .

ولسان العربي ، ولسان كل قومٍ هي لغتهم ، واللُّغات كل ذلك مخلوقٌ بلا شك ، والمعاني المُعبَّرُ عنها بالكلام المؤلف من الحروف المؤلفة إنَّما هي اللَّهُ تعالى والملائكة والمؤمنون وسموات و أرضون وما فيهما من الأشياء ، وصلاة ، وزكاة ، وذكر أممٍ خالية ، والجنَّة والنَّار ، وسائر الطَّاعات والمعاصي ، وكل ذلك مخلوق

حاشا اللّه تعالى وحده لا شريك له ، خالق كل ما دونه .

وأمَّا المُصحف ، فإنّما هو ورق من جلود الحيوان ، ومُركبٌ منها ، ومن مدادٍ مؤلف من صمغ ، و زاج[٥٣] ، وعفص[٥٤] ، وماء ، وكلُّ ذلك مخلوقٌ بلا شك ، وكذلك حركة اليد في خطه ، وحركة اللّسان في قراءته ، واستقرار كل ذلك في النّفوس ، هذه كُلُّها أعراض مخلوقة ، وكذلك عيسى ابن مريم - عليه السلام - كلمة الله ، وهو مخلوقٌ بلا شك .

قال تعالى : ﴿ كَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ [سورة آل عمران ٤٥] .

وأمَّا علم اللّه تعالى فلم يزل وهو كلام اللّه تعالى ، وهو القُرآن ، وهو غير مخلوق ، وليس هو غير اللّه تعالى أصلًا .

ومن قال إنَّ شيئًا غير اللّه لم يزل مع اللّه تعالى فقد جعل للّه تعالى شريكًا ، ونقول إنَّ للّه تعالى كلامًا حقيقةً وأنَّه تعالى كلَّم موسى ، ومن كلَّم من الملائكة والأنبياء - عليهم السلام- تكليمًا حقيقيًا لا مجازًا ، ولا يجوز أنْ يُقال البتة إنَّ اللّه تعالى مُتكلمٌ ، لأنَّه لم يُسم بذلك نفسه ، ومن قال إنَّ اللّه مُكلم موسى لم نُنكره ، لأنَّه يُخبِر عن فعله تعالى الذي لم يكن ثم كان .

ولا يحِل لأحد أنْ يقول : إنَّما قُلنا أنَّ للّه كلامًا لنفي الخرس عنه كما ذكرنا قبل منْ أنَّه إنْ كان يعني الخَرَسُ المعهود ، فإنَّه لا ينتفي إلا بالكلام المعهود الذي هو حركة اللسان والشفتين . وإن كان ينفي خرسًا غير معهود فهذا لا يُعقل أصلًا ولا يُفهم .

وأيضًا فيلزمه أنْ نُسمى اللّه « شمَّامًا » لنفي « الخَشَم »[٥٥] ، « مُتحركًا » لنفي« الخَدَر » عنه ، وهذا إلحادٌ في أسمائه تعالى ، ولكن لمَّا قال تعالى إنَّ كلامًا ما

---

(٥٣) الزاج: بفتح الزاي الموحدة، نوع من الكبريتات يُستخدم في صنع مداد - حبر - الكتابة.

(٥٤) العفص: بفتح العين المُهملة، شجرة البلوط، وثمرها؛ وهو دواء قابض مُجَفِّفٌ، وربَّما اتخذ حبرًا، أو صبغًا . (المُعجم الوسيط ٢ / ٦٣٤) .

(٥٥) الخَشَمُ: داءٌ يعتري الخيشوم فيفقده حاسة الشم .
(المُعجم الوسيط ١ / ٢٤٥) .

قلناه وأقررنا به ، ولمَّا لم يقُله تعالى لم نقُله ، ولم يحل لأحدٍ أنْ يقله وبالله تعالى التَّوفيق .

قال أبو مُحمد : ولمَّا كان اسم القُرآن يقع على خمسة أشياء وقوعًا مستويًا ، صحيحًا ، منها أربعة مخلوقة ، وواحد غير مخلوق ، ولم يجز لأحد البتة أنْ يقول القُرآن مخلوق ، ولا أنْ يقول : إنَّ كلام اللَّه مخلوق ، لأنَّ قائل هذا كاذب ، إذا أوقع صفة الخلق على ما لا يقع عليه مما يقع عليه اسم قُرآن ، واسم كلام اللَّه عز وجل ، ووجب ضرورة أنْ يُقال إنَّ القُرآن لا خالق ، ولا مخلوق ، وإنَّ كلام اللَّه تعالى إنَّ الأشياء كلها مخلوقة ، أو قال : الحق مخلوق ، أو قال : كل موجود مخلوق ، لقال الباطل لأنَّ اللَّه عز وجل شئ موجود وحق وليس مخلوقًا ، لكنَّه إذا قال : اللَّه خالق كل شئ ، جاز ذلك لأنَّه قد أخرج بذكره اللَّه تعالى أنَّه الخالق ، كلامه عن الإشكال ، ومثل ذلك فيما بيننا : أنَّ ثيابًا خمسة ، أربعة منها : حُمر والخامسُ غير أحمر لكان من قال : هذه الثِّياب حُمرٌ كاذبًا ، ولكان من قال : هذه الثياب ليست حُمرًا صادقًا ، وكذلك من قال : الإنسانُ طبيبٌ ، يعنى كلَّ إنسان لكان كاذبًا ، ولو قال : ليس الإنسان طبيبًا - يعني : كل إنسان- لكان صادقًا ، وكذلك لا يجوز أنْ يُطلق أنَّ الحقَّ مخلوقٌ ، ولا العلم مخلوق ، لأنَّ اسم الحق يقعُ على اللَّه تعالى ، وعلى كل موجود ، واسم العلم يقع على كل علم ، وعلى علمِ اللَّه تعالى ، وهو غير مخلوق ، لكن يُقال الحق غير مخلوق ، والعلم غير مخلوق هكذا جملة .

فإذا بيِّن فقيل : كل حق دون اللَّه فهو مخلوق ، وكُل علم غير علم اللَّه تعالى فهو مخلوق ، فهو كلام صحيح ، وهكذا لا يجوز أنَّ يُقال : كلام اللَّه تعالى مخلوق ، ولا أنَّ القرآن مخلوق ، لكن يُقال : علم اللَّه تعالى غير مخلوق ، وكلام اللَّه تعالى غير مخلوق ، والقُرآن غير مخلوق ، ولو أنَّ قائلًا قال : اللَّه غير مخلوق وهو يعني صوته المسموع الألف واللام واللام والهاء ، أو الحبر الذي كتب هذه الكلمة لكان في ظاهر قوله عند جميع الأمَّة كافرًا ما لم يُبين ، فيقول

صوتي ، أو هذا المكتوب مخلوق) . اهـ[٥٦].

---

(٥٦) قال العلامة / عبد الرحمن بن ناصر السّعدي في « توضيح الكافية الشّافية » ص ٦٨:
(وزعم « أبو مُحمد بن حزم الظّاهري » أنّ مُسمى القرآن يُطلق على أربعة أشياء:
١-يُطلق على المُصحف الذي جمعه عُثمان بن عفان - رضي الله عنه - .
٢ -ويُطلق على الّذي نقلوه .
٣ -ويُطلق على ما هو محفوظ في الصّدور .
فهذه الثلاثة عنده مخلوقة .
٤ -ويُطلق على المعنى القديم القائم بذاته كقيام علمه بحيث لا يتعلق بمشيئته . فهذا غير مخلوق .
وهذا القول هو قول « الكّلابيّة » السابق إلا أنّ التعبير اختلف .
فأبو مُحمد قال: إنّه مخلوق كما صرّح بذلك « المعتزلة» و « الكلابيّة » و «الأشعريّة »، قالوا: عبارة وحكاية عن كلام الله كما تقدم قولهم .
والذي أوجب لابن حزم أنْ يقل بهذا التّفصيل الّذي هو من الأضاليل أنّه لمّا رأى مراتب الوجودات أربعة :
١-للمُعينات وجود في الخارج .
٢-ووجود في اللفظ .
٣-ووجود في الرّسم .
٤-ووجود في الذّهن .
فوجود الشّئ يُطلق على كل هذه الأمور الأربعة، وأنّ أولاها بالقُرآن عنده الوجود الخارجي، وهو المعنى النّفسي القديم .
وخالفه أبو عبد الله الرازي فزعم أنّ الأوْلى بهذه المراتب الوجود الذّهني .
وكلٌّ هذا غلطٌ فاحشٌ وقلةُ فُرقان !! وإلا فالشئ واحد في نفسه حيثُما تصرّف، فالقرآن كلام الله بوجوداته الأربعة إذا تلاه التّالون، أو حفظه الحافظون، أو كتبه الكاتبون، أو تكلم ربُّ العالمين، فهو في كلِّ هذه المراتب كلام الله مُنزّلٌ غير مخلوق، وهو حقيقة في جميع هذه المراتب .
ولهذا أخبر الله عن القُرآن خبرًا واحدًا في أحواله كُلّها، فأخبر أنّه تكلم به، وأنّه كلامه وتنزيله، وأنّه نزل منه، وأخبر أنّه في الصّدور محفوظ، وأنّه في صُحفٍ مُطهرة، وأنّه متلو مقروءٌ وكل ذلك على وجه الحقيقة .
وهذا بخلاف القول في تلاوة العبد، فإنّ التّلاوة غير المتلو، والقراءة غير المقروء، فالتّلاوة فعل =

....

* * *

= العبد وهي مخلوقة، والمتلو من كلام الله غير مخلوق .

ولهذا كان الأئمة يقولون: إنَّ كتابة العباد وأصواتهم والرّق الذي كُتب عليه القرآن والمداد الَّذي يكتب به هذه كلها مخلوقةٌ، وأمّا الذي يرجع إلى الله تعالى ويُضاف إليه فإنّه كلامه غير مخلوق، وهذا الفرق واضح شرعًا وعقلًا .

والتّلاوة قد يُعنى بها المتلو فهو كلام الله غير مخلوق . وقد يُعنى بها تلاوة العباد وأصواتهم وأفعالهم فهي مخلوقة) أهـ.

مُخالفــات

ابن حزم في مبحث : «النبوات»

قول ابن حزم بنبوة النساء

قال ابن حزم - رحمه اللّه - في « الفصل » ٥ / ١١٩:

(قال أبو مُحمد : هذا فصل لا نعلمه حدث التّنازع العظيم فيه إلاّ عندنا بـ : « قُرطُبة » في زماننا ، فإنّ طائفةً ذهبت إلى إبطال كون النّبوة في النّساء جُملة وبدّعت من قال ذلك .

وذهبت طائفةٌ أخرى إلى القول بأنّه قد كانت في النّساءِ نبوة .

وذهبت طائفةٌ إلى التّوقف في ذلك .

قال أبو مُحمَّد : ما نعلم للمانعين من ذلك حُجَّة أصلًا ، إلا أنَّ بعضهم نازع في ذلك بقول اللّـه تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ﴾ [سورة النحل ٤٣] .

قال أبو مُحمد : وهذا أمر لا يُنازَعون فيه ، ولم يدَّعِ أحد أنَّ اللّه أرسل امرأة ، وإنّما الكلام في النّبوة دون الرّسالة ، فوجبَ طلبُ الحق في ذلك بأنْ ننظر في معنى لفظة « النّبوة » في اللّغة خاطبنا بها اللّه عز وجل ، فوجدنا هذه اللفظة مأخوذة من الإنباء وهو : الإعلام ، فمن أعلمه اللّه عز وجل بما يكون قبل أنْ يكون ، أو أوحى إليه مُنبئًا له بأمرٍ ما فهو نبي بلا شك ، وليس هذا من باب الإلهام الذي هو طبيعة لقول اللّه تعالى : ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [سورة النحل ٦٨] .

ولا من باب الظّن والتّوهم الّذي لا يقطع بحقيقته إلا مجنون ، و لا من باب الكهانة التي هي من استراق الشياطين السّمع من السّماء فيُرمون بالشُّهب الثّواقب ، وفيه يقول تعالى : ﴿شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [سورة الأنعام ١١٢] .

وقد انقطعت الكهانة بمجئ الرسول ﷺ ، ولا من باب النُّجوم التي هي تجارب تُتعلم ، ولا من باب الرُّؤيا التي لا يُدرى أصدقت أم كذبت ، بل

الوحي الذي هو النُّبوة : قصدٌ من اللَّه تعالى إلى إعلام من يُوحى إليه بما يُعلِمه ، ويكون عند المُوحَى به إليه حقيقةً خارجةً عن الوجوه المذكورة ، يُحدِث اللَّه عز وجل لمن أوحى به إليه علمًا ضروريًا ، بصحة ما أوحى به كعلمه بما أدرك بحواسه وبديهة عقله سواءً بسواء ، لا مجال للشّك في شئ منه إمَّا بمجئ المَلك إليه به ، وإمَّا بخطابٍ يُخاطَب به في نفسه ، وهو تعليمٌ من اللَّه تعالى لمن يُعَلِمه دون وساطة مُعَلِم ، فإنْ أنكروا أنْ يكون هذا هو معنى النبوة فليعرفونا ما معناها ، فإنَّهم لا يأتون بشئ أصلًا فإذ ذلك كذلك فقد جاء القُرآن بأنَّ اللَّه تعالى عز وجل أرسل ملائكة إلى نساء فأخبروهن بوحي حق ، من اللَّه تعالى .

فبشَّروا أم إسحاق بإسحاق عن اللَّه عز وجل ، قال عز وجل : ﴿ وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَـٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [سورة هود ٧١ - ٧٣] .

فهذا خطابٌ من الملائكة لأم إسحاق عن اللَّه - عز وجل - بالبشارة لها بإسحاق ، ثُمَّ يعقوب ، ثُمَّ بقولهم لها : أتعجبين من أمر الله . . .؟ ، ولا يُمكن أن يكون هذا الخطاب من مَلكٍ لغير نبي بوجه من الوجوه .

ووجدناه تعالى قد أرسل جبريل إلى مريم أم عيسى - عليهما السلام - ، فخاطبها وقال لها : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾ [سورة مريم ١٩] .

فهذه نبوة صحيحة بوحي صحيح ، ورسالة من اللَّه تعالى إليها ، وكان زكريا - عليه السلام - يجد عندها من اللَّه رزقًا واردًا ، تمنَّى من أجله ولدًا فاضلًا .

ووجدنا أم موسى - عليهما السلام - قد أوحى اللَّه إليها بإلقاء ولدها في اليمّ ، وأعلمها بأنه سيرُده إليها ، ويجعله نبيًا مُرسلًا .

فهذه نبوة صحيحة لاشك فيها[٥٧] .

وبضرورة العقل يدري كل ذي تمييز صحيح أنَّها لو لم تكن واثقة بنبوة اللَّه – عز وجل – لها بإلقائها ولدها في اليمِّ برؤيا تراها ، أو بما يقع في نفسها ، أو قام في هاجسها في غاية الجنون ، والمراد الهائج ، ولو فعل أحدنا لكان في غاية الفسق ، أو في غاية الجنون ، مُستحقًّا لمُعافاة دماغه في« المارستان »[٥٨] ، ولا يشك في هذا أحدٌ ، فصحَّ يقينًا أنَّ الوحي الذي ورد لها في إلقاء ولدها في اليمِّ كالوحي الوارد على إبراهيم في الرُّؤيا في ذبح ولده ، لكنه ذبح ولده لرؤيا رآها ، أو ظنٌ وقع في نفسه ، لكان بلا شك فاعلُ ذلك من غير الأنبياء فاسقًا في نهاية الفسق ، أو مجنونًا في غاية الجنون ، هذا ما لا يشُك فيه أحدٌ من الناس .[٥٩]

فصحَّت نبوتهن بيقين ووجدنا اللَّه تبارك وتعالى قد قال وذكر من الأنبياء – عليهم السلام – في سورة « كهيعص » ، وذكر مريم في جُملتهم ، ثُمَّ قال عز وجل : ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ [سورة مريم ٥٨] .

---

(٥٧) وهذا يُرد عليه من وجهين: – أنَّ أم موسى وآسية وغيرهن ممن لم يرد لفظٌ صريح من إرسال ملك إليهن قد يَكُنَّ رأين رؤيةً أو ألقي في روعهن ما حدث لهن، وهذا يَحدث للأنبياء وغيرهم .
– ضف إلى ذلك أنَّ إثبات النبوة لكل من أرسل له مَلَك قضية محل نزاع، فقد جاء الكتاب، والسُّنَّة بأمثلة كثيرة ممن أرسل إليهم، ففي الحديث أنَّ الله أرسل مَلكًا لرجل يزور أخً له في الله في قرية أخرى فسأله عن سبب زيارته له، فلمَّا أخبره أنَّه يُحبه في الله، أعلمه أن الله قد بعثه إليه ليُخبرَه أنَّه يُحبه. قصة الأقرع والأبرص والأعمى معروفة .
بل توقف النبي ﷺ في ذي القرنين مع إخبار القرآن أنه أوحي إليه، قال تعالى: ﴿ قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ ﴾ الكهف : ٨٦ .

(٥٨) المارستان : بفتح الميم ، والرَّاء المُهملة ، وسكون السِّين المُهملة المَصحَّة أو المُسْتَشْفى .

(٥٩) قلتُ : وعلى هذا فإنَّ الرَّجل الذي اقترض ألف دينار ليتاجر فحبسه عذر فجمع الألف دينار ووضعها في خشبة ورماها في البحر كي تصل في موعدها فوصلت يعد من الأنبياء ليقينه في الله، فلو قال رجل لغيره أنَّه سيفعل مثل ما فعل المُقترض لرماه بالجنون ولوضع في المارستان.

وهذا هو عمومٌ لها معهم ، لا يجوز تخصيصها من جُملتهم ، وليس قوله تعالى : ﴿ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾ [سورة المائدة ٧٥] . بمانع من أن تكون نبية فقد قال تعالى : ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ ﴾ [سورة يوسف ٤٦] .

وهو مع ذلك نبيٌ رسول الله ، وهذا ظاهر وبالله التوفيق(٦٠) .

ويُلحق بهن - عليهن السلام - في ذلك امرأة فرعون ، بقول رسول اللَّه ﷺ : كَمُلَ من الرِّجال كثيرٌ ، ولم يكمل من النِّساء إلا : مريم بنت عمران ، وآسية بنت مُزاحم امرأة فرعون .(٦١)

أو كما قال - عليه السلام - .

والكمال في الرِّجال لا يكون إلا لبعض المرسلين - عليهم السلام- لأنَّ مَن دونهم ناقصٌ عنهم بلا شك ، وكان تخصيصه بالكمال مريم وامرأة فرعون تفضيلاً لهما على سائر من أوتيت النُّبوة من النِّساء بلا شك ، إذ من نقص عن منزلة آخر ولو بدقيقة لم يكمل ، فصحَّ بهذا الخبر أنَّ هاتين المرأتين كَمُلتا كمالاً لم يلحقهما معه امرأة غيرهنَّ أصلاً وإنْ كُنَّ بنصوص القُرآن نبيات .

وقد قال تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [سورة البقرة ٢٥٣] .

فالكامل في نوعه هو الذي لا يلحقه أحدٌ من أهل نوعه ، فهم من الرِّجال الرُّسل ، الذين فضَّلهم اللَّه تعالى على سائر الرُّسل ، ومنهم نبينا محمد ، وإبراهيم

---

(٦٠) بل وصف مريم بأنها صديقة جاء في مقام الثَّناء والإخبار عن فضلها فلو كان معها في مقام الثَّناء ما هو أعلى لقُدِّم، فوصف يوسف بالصِّدِّيقية جاء على لسان ساقي الملك الذي لا يعلم من حال يوسف سوى هذا القدر فأثنى به عليه لما رأى منه في فترة السجن من صدق وإخلاص .

(٦١) متفق عليه .

من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

أخرجه البخاري فى مواضع عديدة من صحيحه : (كتاب أحاديث الأنبياء / باب: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ ﴾ / ح ٣٤١١، ٣٤٣٤).

وأخرجه مسلم فى صحيحه : (٤ / كتاب فضائل الصحابة / باب: فضائل خديجة أم المؤمنين - رضي الله عنها - / ح ٧٠).

- عليهما السلام - بلا شك للنّصوص الواردة فيهما بذلك في فضلهما على غيرهما ، وكل من ذكر من النّساء عليه الصلاة والسلام)(*) . أهـ(٦٢)

* * *

(*) قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في « مجموع الفتاوى » ٣٩٦/٤: وأبو محمد مع كثرة علمه وتبحره ، وما يأتي به من الفوائد العظيمة له من الأقوال المنكرة الشاذة ما يعجب منه كما يعجب مما يأتي به من الأقوال الحسنة الفائقة ، وهذا كقوله : إنَّ مريم نبيّة ، وإنَّ آسية نبيّة ، وأن أم موسى نبية ، وقد ذكر القاضي أبو بكر ، والقاضي أبو يعلى ، وأبو المعالي وغيرهم الإجماع على أنه ليس في النساء نبيّة ، والقرآن والسّنّة دلّا على ذلك ، كما في قوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ سورة النحل : ٤٣، وقوله : ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾ سورة المائدة ٧٥، ذكر أن غاية ما انتهت إليه أمه الصديقية ، وهذا مبسوط في غير هذا الموضع) . اهـ .

(٦٢) وصف مريم وآسية بالكمال لا يُعد دليلا على نبوتهن، وذلك من وجهين:

- أن غيرهن وصف بالكمال، « خديجة بنت خويلد » زوج النبي ﷺ .

قال العلامة الألباني - رحمه الله - في حاشية « صحيح الجامع » ٢ / ٨٤٠ :

بعد أن ذكر حديث: كمل من الرجال ...

(زاد ابن مردويه من حديث قُرة بن إياس مرفوعًا: « وخديجة بنت خويلد، وإسناده صحيح، كما قال ابن كثير في « البداية » (٣ / ١٢٩)) .اهـ

ولم يقل أحد بنبوتها .

- لا يلزم من الوصف بالكمال الوصول إلى الرّتبة العليا من الكمال المُطلق، بل المقصود أنهن بلغن حد الكمال في ما تُستحمد عليه النساء، كما أنَّ الكمال الذي اقترن في الحديث بالرّجال خاص بما يوصف به الرجال ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ﴾ سورة آل عمران ٣٦ إذن فالكمال المذكور في الحديث كمال بالنّسبة إلى فضائل النساء .

مخالفات ابن حزم في التفضيل بين الصَّحابة

مخالفات ابن حزم في التفضيل بين الصحابة

قال ابن حزم – رحمه اللّه – في « الفصل » ١٨٢/٤:

(والذي نقول به وندين به للّه تعالى عليه ، ونقطع على أنّه الحق عند اللّه عز وجل أنَّ أفضل النّاس بعد الأنبياء عليهم السلام نساء النّبي ﷺ ، ثُمَّ أبو بكر رضي اللّه عنه)(٦٣) اهـ .

* * *

(٦٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في « مجموع الفتاوى » ٣٩٥/٤ :

(وأمّا أزواج النّبي ﷺ فلم يقُل إنهنّ أفضل من العشرة إلّا أبو محمد بن حزم ، وهو قولٌ شاذ لم يسبقه إليه أحد ، وأنكره عليه من بلغه من أعيان العُلماء ، ونصوص الكتاب والسُّنّة تبطل هذا القول.

وحُجّته الّتي احتجَّ بها فاسدة ، فإنّه احتجَّ على ذلك بأنَّ المرأة مع زوجها في درجته في الجنة ، ودرجة النّبي ﷺ من الوالدن ، ومن يُزّوج به من الحور العين أفضل من الأنبياء والمرسلين ، وهذا كله مما يعلم بُطلانه عموم المؤمنين .

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنّه قال : فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام .

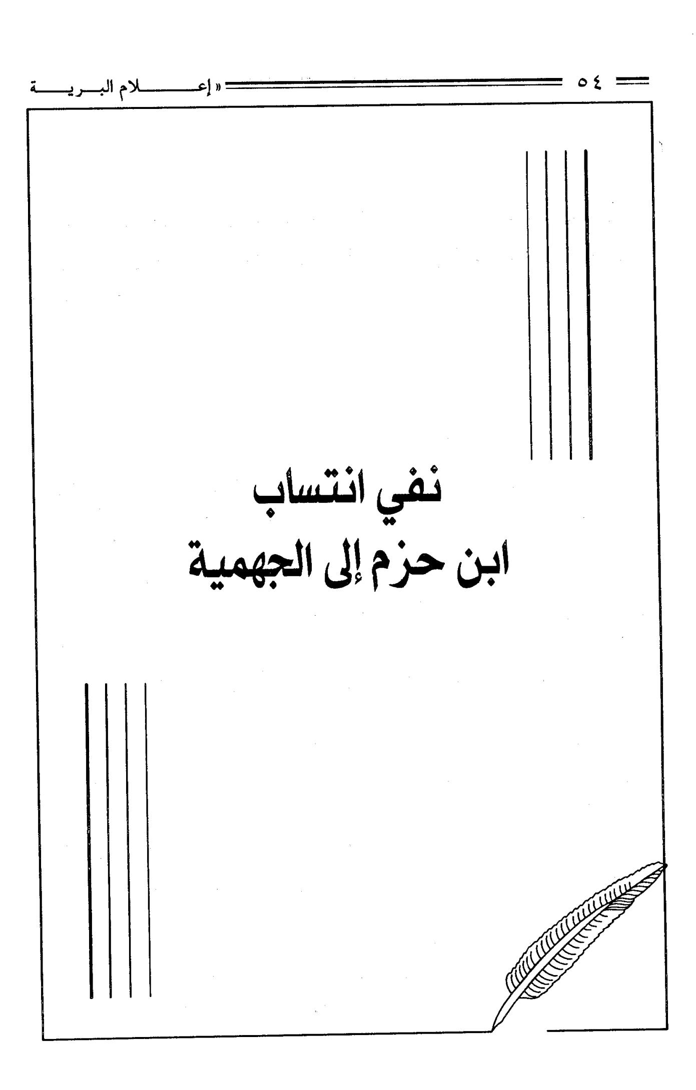
فإنما ذكر فضلها على النّساء فقط .

وقد ثبت في الصحيح عن النّبي ﷺ أنه قال : كَمُل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا عدد قليل ، إثنتان أو أربع ، وأكثر أزواجه لسنَ من ذلك القليل .

والأحاديث المُفضّلة للصحابة كقوله : « لو كُنتُ مُتّخِذًا من أهل الأرض خليلًا لاتَّخذتُ أبا بكر خليلًا » .

يدل على أنّه ليس في الأرض أهلٌ لا من الرّجال ولا من النّساء أفضل عنده من أبي بكر ، وكذلك ما ثبت في الصحيح عن علي أنّه قال : خير هذه الأمّة بعد نبيّها أبو بكر ، ثم عُمر . وما دلَّ على هذا من النصوص الّتي لا يتّسع لها هذا الموضع .

وبالجملة فهذا قولٌ شاذٌ لم يسبق إليه أحد من السلف ، وأبو محمد مع كثرة علمه وتبحره ومما يأتي به من الفوائد العظيمة له من الأقوال المُنكرة الشاذة ما يعجب منه كما يعجب مما يأتي من الأقوال الحسنة الفائقة) . اهـ .



نفي انتساب ابن حزم إلى الجهمية

فصل:

في نفي انتساب ابن حزم للجهمية

وبُناءًا على ما قد سلف من حُكم غير واحد على ابن حزم بأنَّه جهمي ، وابن حزم و إنْ كان يذهب إلي بعض أقوال الجهمية فى الأسماء والصِّفات إلا أنَّه لا يصح بحال من الأحوال أنْ يُنسب إليهم لأنَّه التقى معهم وفاقًا لا اتفاقًا .

وإليك الأدلة على صحة ما قلت :

١ - نقدُه للجهم بن صفوان نفسه .

قال فى « الإحكام من أصول الأحكام » ٧ / ٣٩٤ (فى مبحث القياس) :

(واحتجوا بقول اللَّه تعالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ *أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ [يس ٧٨ - ٨١] .

قال أبو مُحمد : وهذا من عجائبهم وطوامِهم ليت شعري ، فى هذه ما يوجب القياس أو يحكم فى ألا يكون الصِّدق أقل مما يقطع فيه اليد ، وأن يُرجم اللواطي كما يُرجم المُحصن .

ولكان احتجاجهم بهذه الآية لن يُخرجهم إلي الكفر ، لأنه تعالى لم يوجب أن يُعيد العظام من أجل أنَّه أنشأها أول مرة يوجب أنْ يُعيدها ، ومن ظنَّ هذا افترى .

ومع ذلك فلو كان إنشاء اللَّه تعالى للعظام أولًا يوجب أنْ يُحييها ثانية ، لوجب ضرورة إذا افتناها أيضًا بعد أن أنشأها ثانية ، وهذا مما لا يُقولونه ، ولا يُقول به أحد من المسلمين إلا جهم ابن صفوان وحده .

ولو كان ذلك أيضا لوجب أنْ يعيدهم إلي الدُّنيا ثانية كما ابتدائهم وأنشأهم فيها أول مرة ، وهذا كفرٌ مُجرد ، لا يقول به إلا أصحاب التَّناسخ ، فقبّح اللَّه كل احتجاجٍ يفر صاحبه من الانقطاع والإذعان للحق إلي ما يؤدى إلي الكفر فبطل تمويههم بهذه الآية ، وصحَّ أنَّ معناها هو اقتضاء ظاهرها فقط وهو أنَّ القادر على خلق الأشياء ابتداء قادر على إحياء الموتى) .اهـ

٢ – تشنيعه بالجهمية :

قال فى « المحلى » ٥ / ٧٣:

(فمن فضائح الجهمية وشنعهم قولهم : بأنَّ علم اللَّه مُحدث مخلوق ، وأنَّه تعالى لم يكن يعلم شيئًا حتى أحدث لنفسه علمًا عَلِمَ به ، وكذلك قولهم فى القدرة ، وقالوا أيضا : إنَّ الجنَّة والنَّار تفنيان ، ويفنى كل من فيهما ، وهذا خلاف القرآن ، والثَّابت عن رسول ﷺ ، وخلاف إجماع أهل الإسلام المتيقن) .اهـ

٣ – اختلافه معهم فى أصول مذهبهم المتفق عليها بينهم :

أ – مسألة خلق القرآن :

قال فى « المحلى » ١ / ١٣ :

(أنَّ القُرآن الذي فى المصاحف بأيدي المسلمين شرقًا وغربًا فما بين ذلك من أول القرآن إلي آخر المعوذتين كلام اللَّه عز وجل ووحيه أنزله على قلب نبيه محمد ﷺ من كفر بحرف منه فهو كافر .

قال تعالى : ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [سورة التوبة ٦]) .اهـ

ب – مسألة فناء النَّـار :

قال أبو الحسن الأشعري ، في « مقالات الإسلاميين » ص ١٤٦:

(ذهب الجهم إلى القول بأنَّ الجنَّة والنَّار تفنيان وتبيدان ، ويفنى أهلهما حتَّى يكون اللَّه موجودًا لا شئ معه ، وإنَّه لا يجوز أنْ يُخلِّد اللَّه أهل الجنة في الجنة ، ولا أهل النَّار في النَّار) .اهـ

قال في « المحلى » ١ / ١١:

(لا تفنى الجنّة ولا النّار ، ولا أحد ممن فيهما أبدًا .

بُرهان ذلك : قول اللّه عز وجل مخبرًا عن كل واحدة من هاتين الّدارين ، ومن فيهما ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [سورة هود ١٠٨] .

وذكر بسنده حديث أبي سعيد الخُدري رضي اللّه عنه : قال : قال رسول اللّه ﷺ : يُجاء بالموت يوم القيامة كأنّه كبشٌ أملح ، فيقال يا أهل الجنّة هل تعرفون هذا ؟ ، فيشرئبون وينظرون فيقولون : نعم هذا الموت ، فيُؤمر به فيُذبح ثم يقال : يا أهل الجنّة خلودٌ بلا موت ، ويا أهل النّار خلود فلا موت ، ثم قرأ رسول اللّـه ﷺ : ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة مريم ٣٩] ، وأشار بيده إلي أهل الدنيا (٦٤)

وقال عز وجل : – فى أهل الجنّة – ﴿لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [سورة الدخان ٥٦] .

وقال فى أهل النّار: ﴿لا يُقضى عليهم فيموتوا ولا يُخفف عنهم من عذابها﴾ [فاطر ٣٦] ، وبالله تعالى التّوفيق) .اهـ

---

(٦٤) متفق عليه، من وجهين :

– عن أبي سعيد الخُدري – رضي الله عنه – : أخرجه البُخاري في غير موضع من صحيحه منها: (كتاب الرقاق / باب: صفة الجنة والنار / ح ٦٥٤٩) .

وأخرجه مُسلم في صحيحه: (كتاب الجنّة وصفة نعيمها / باب: النار يدخلها الجبّارون والجنة يدخلها الضعفاء / ح ٤٠، ٤١) .

– ابن عُمر – رضي الله عنهما –:

أخرجه البُخاري في صحيحه: (كتاب الرقاق / باب: صفة الجنّة والنار / ح ٦٥٤٨) .

وأخرجه مسلم في صحيحه: (كتاب الجنة وصفة نعيمها / باب: النار يدخلها الجبارون والجنّة يدخلها الضعفاء / ح ٤٢، ٤٣) .

ج – القدر :

قال أبو الحسن الأشعري في «مقالات الإسلاميين» ص ٢٧٩:

(زعم الجهم أنَّ العبد مجبورٌ على فعله ، وأنَّه لا فعل لأحد حقيقة إلا اللَّه وحده ، والفعل يُنسب إلى العبد على المجاز ، كما يُقال : تحركت الشَّجرة ، و دار الفلك ، وزالت الشَّمس ، والفارق بين الإنسان وغيره أنَّ اللَّه فعل للإنسان قوة كان بها الفعل كما خلق طولًا وعرضًا) .اهـ

قال ابن حزم في «الفصل» ٣ / ٣٥: (خطأ هذه المقالة ظاهر بالحسِّ والنَّص ، وباللغة التي خاطبنا اللَّه تعالى وبها نتفاهم .

فأمَّا النَّص : فإنَّ اللَّه عز وجل قال في غير موضع من القُرآن : ﴿ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الأحقاف ١٤] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [سورة الصف ٢] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [سورة الكهف ٣٠] .

فنصَّ على أنَّ لنا عملًا وفعلًا .

أمَّا الحس فإنَّ الحواس وبضرورة العقل وبديهته علمنا يقينًا علمًا لا يُخالج فيه الشَّك أنَّ بينَّ الصحيح الجوارح وبين من لا صحة لجوارحه فرقًا لائحًا لجوارحه ، لأنَّ الصحيح الجوارح يفعل القيام ، والقعود ، وسائر الحركات مُختارًا لها دون مانع ، وأنَّ الذي لا صحة لجوارحه لو رام ذلك جهده لم يفعله أصلًا ، ولا بيان أبين من هذا الفرق .

والجبرُ في اللغة : هو : الذي يقع منه الفعل بخلاف اختياره وقصده ، أمَّا من وقع فعلُهُ باختياره وقصده فلا يُسمى في اللغة مُجبرًا .

وإجماع الأمَّة كلها على « لا حول ولا قوة إلا بالله » مُبطلٌ قول المُجبرة ، وموجبٌ أنَّ لنا حولًا وقوةً ولكن لم يكُن لنا ذلك إلا بالله تعالى ، ولو كان ما ذهبت إليه « الجهميَّة » لكان قول : لا إله إلا اللَّه لا معنى لها .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ مَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء

اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة التكوير ٢٨ - ٢٩] .

فنصَّ تعالى على أنَّ لنا مشيئة إلا أنَّها لا تكون منَّا إلا أنْ يشاء اللَّه تعالى كونها ، وهذا نص قولنا والحمد للَّه) .اهـ

د - الإيمان :

قال أبو الحسن الأشعري في « مقالات الإسلاميين » ص ١٢٥ :

(وزعم الجهم أنَّ الإنسان إذا أتى بالمعرفة ، ثُمَّ جحد بلسانه فإنَّه لا يكفر بجحده ، وأنَّ الإيمان لا يتبعض ، ولا يتفاضل أهله فيه ، وأنَّ الإيمان والكفر لا يكونان إلا في القلب دون غيره من الجوارح ، والكفر عند الجهم هو الجهل بالله فقط ، ولا يكفر بالله إلا الجاهل به) .اهـ

وقد خالفهم ابن حزم في عدة مسائل ووافقهم في شيءٍ منها .

وافقهم في عدم تفاضل أهل الإيمان فيه كما ذكرنا في مبحث الإيمان .

وخالفهم في أنَّ الإيمان يتبعض ، ويزيد وينقص ، وأنه ليس مُجرد اليقين فقط .

قال في « المُحلَّى » ١ / ٤٠ :

(وقد صحَّ أنَّ الإسلام ، هو الإيمان[٦٥] ، فالدِّين هو الإيمان ، والدِّين يزيد وينقُص) .اهـ

وقال في « المُحلَّى » ١ / ٢ :

(أوَّل ما يلزم كل أحدٍ ، ولا يصحَّ الإسلام إلا به أنَّ يعلم المرء بقلبه علم يقين

---

(٦٥) هذا عند الافتراق أمَّا عند الاقتران فإنَّ الإسلام يختصُّ بعمل الجوارح، بينما يختص الإيمان بعمل القلب والتَّصديق، وقد نبَّه على ذلك غير واحد من أهل السُّنَّة منهم : شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب الإيمان، وابن رجب الحنبلي في كتاب: جامع العلوم والحكم.

وقد نبَّهت على ذلك لأنَّ مذهب ابن حزم عدم التَّفريق بينهما سواءٌ اجتمعا أو افترقا.

* * *

وإخلاص لا يكون لشئ من الشَّك فيه أثر ، وينطق بلسانه ولابد بأنَّ لا إله إلا الله ، وأنَّ مُحمَّدًا رسول اللَّه) .اهـ

والى هنا انتهى ما جمعته من كلام ابن حزم فى بعض مسائل الاعتقاد وبيان التقائه مع الجهمية فيها وفاقا لا اتفاقا .

أبو أسامة الأثري

جمال بن نصر بن عبد السلام

فهرس الأحاديث

فهرس الموضوعات

الموضـــوع	الصفحة

* * *